تنبيــــه هــــام: إن هــذه الجـــريـــدة تتضمــن آيــات من القـــرآن الكـــريـم فــالـواجــب عــدم امتهــانـــهـا

قال سبحانه وتعالى:
«قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ»
يوسف 108.

السبيل

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال : هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم قرأ : «وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»
حديث صحيح

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة تصدر مرة في الشهر مؤقتا ـ المدير المسؤول: إبراهيم الطالب ـ رقم الإيداع القانوني: 2005/0096 ـ العدد 09 ـ 02 ربيع الأول 1427 هـ الموافق لـ 01 أبريل 2006م ـ الثمن 5 دراهم

الإسلام بين الإرهاب العلماني والتطرف الديني

هل نحارب الإرهاب بالموسيقى أم نحارب الإسلام بالتفسخ؟

مرت على أحداث 11 شتنبر 2001، أربع سنوات وبضعة أشهر تخللتها أحداث إرهابية دامية نفذتها جماعات متطرفة في بعض البلدان الإسلامية منها بلادنا المغرب، مما جعل أوراق ملفات كثيرة تتبعثر، وموازين عديدة تختل وتخسر، وأعطت للحاقدين على الإسلام وأهله الفرصة المثلى لحربه واستضعاف حزبه بدعاوى مختلفة، مرة باسم تجفيف منابع الإرهاب المادية والفكرية، وأخرى باسم الإنفتاح والتعايش والتنمية..، حتى أصبح المسلم الذي يريد امتثال أوامر ربه والإذعان لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يعيش حالة من القلق الدائم، ولَّدها الهجوم الشرس للعلمانيين بمختلف مشاربهم وما خولته لهم وسائل الإعلام الوطنية من إمكانيات مادية ومعنوية وذلك لقلب مجموعة من المفاهيم والقناعات الأصيلة عند المغاربة والتي ظلت من الثوابت منذ دخل الإسلام المغرب.

تتمة صفحة: 6

ـ ملف العدد ـ

قضية المرأة

إصلاح مصدره الوحي أم دعوة لعولمة النموذج الغربي

تقرؤون في هذا الملف:

- منزلة المرأة في الإســــلام
- صور الوضعية السيئة للمرأة المغربية وموقف الإسلام منها
- المتابعة الأممية لقضية المرأة
- الاهتمام الغربي بالمرأة، إكرام وإنصاف أم تطرف وإجحاف؟!
- في اليوم العالمي للمرأة يوم المرأة "العالمية".. أم "الغربية"؟
- توجه الجمعيات النسائية اليسارية بالمغرب-عرض ونقد- لقدره الشريــف
- نعم للإصــلاح لا للتـغــريب

صفحة: 12-19

صفقة الموانئ الأمريكية

صفحة: 8

دلائل محبة النبي صلى الله عليه وسلم

صفحة: 24

المؤتمرات النائمة والمؤامرات الحالمة!!

صفحة: 30

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

كلمة العدد

„ أن نفكر في التقدم شيء جميل، وأن نخطط للازدهار شيء أجمل، لكن أن نسلك طريق التخلف والتدهور ومع ذلك نرفع أصواتنا عاليا محاولين إقناع الناس أننا على طريق الفلاح، ونوهمهم بقرب بزوغ فجر يصبح الإنسان وقد وجد بدل المستشفى عشرة، وبدل الجامعة مائة، وبدل المدرسة ألفا، فهذا مسلك المعتوهين ودرب المجانين.

ولربما أصاب المواطنَ البسيط الصَمَمُ من كثرة ما يردد البعض على مسمعه كلمات من قبيل: الحق والقانون، محاربة الرشوة، محاربة الفساد، محاربة الفقر، العدل، المساواة..وتستمر الحكاية.. ويبقى حال المواطن المسكين كحال رجل هدَّه الجوع وسئم كثرة الضجيج من حوله، ماذًا يديه بكيس ينتظر أن تقذف الطاحونة ما أودعه في جوفها من حبوب، دقيقا يسكت به صراخ عياله، فبينما هو كذلك، إذ وقف بجانبه شخص في مثل حاله سائلا إياه عن صحته كيف هي؟ فأجابه المسكين دون تفكير أسمع جعجعة ولا أرى طحنا.

لم أورد هذا المثال لأبين حاجة الناس وفقرهم فهذا شيء لم يعد خافيا على أحد، وإنما أوردته لتناسبه بل تماثله مع خطابات القادة والزعماء المبشرين بالرفاهية والازدهار والتقدم طيلة الخمسين سنة الفارطة، بينما الحالة المتردية السائدة ملؤها التخلف والانحطاط.

فكم من الاجتماعات عقدت لمحاربة الأمية مثلا، وكم يصرف على هذا المطلب، لكن تبقى الأمية متزايدة بسبب انقطاع العديد من الأطفال عن التمدرس في سن مبكرة، وانعدام خطة لإعادة إدماجهم في سلك التعليم مع ضعف وندرة المؤسسات التعليمية في العالم القروي، بل تنضاف إليها الأمية الدينية لتصبح شوارعنا مراتع لأصحاب السوابق يقطعون على الناس الطريق في واضحة النهار.

إن أغلب وأهم مشاكلنا يكمن حلها بيسر وسهولة -إذا ما توفرت الإرادة الحقيقية للإصلاح- في كتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، واللذان يمثلان السبيل الأمثل للنهوض بأحوال الناس فرادى وجماعة.

فكم تنفق من أموال على المركبات السجنية المكتظة بأناس لم يقترفوا الجرائم إلا لضعف تمسكهم بالدين؟ وكم يعاني الناس من آثار الربا والزنا والمخدرات؟ وكم من الجرائم ترتكب من جراء اقتراف هذه الموبقات؟ وكم تتكبد الدولة من خسائر بسبب الاختلاسات المالية؟ وكم؟ وكم؟

إن السلوك الجيد والخلق الحسن هما في ديننا عبادة قبل أن تكون مجرد مظاهر اقتضتها ضرورة التعايش والاجتماع، فالنبي صلى الله عليه وسلم بيَّن لأمته أن المسلم هو: "من سلم المسلم من لسانه ويده". كما أوضح عليه السلام أن أقرب الناس منه يوم القيامة أحاسنهم أخلاقا، وأخبر المؤمنين به أن أثقل ما يوضح في ميزانهم يوم القيامة خلق حسن، فكيف لأمة هذا هدي نبيها، تكتظ سجونها بمرتكبي الزنا وشاربي الخمر وقطاع الطرق؟ “

لقد أضحى من اللازم على كل من يتصدى للإصلاح أن يفكر في السبيل التي تقينا الوقوع في الجريمة، ولا يقتصر على مجرد وضع قوانين خرساء مادية تجنح إلى العقاب ولا تهتم بالتربية.

والعجيب أن نسمع أصواتا ترتفع وتطالب بإدراج دروس التربية الجنسية في الوقت الذي تطالب الأصوات نفسها بالتقليص من حصص التربية الإسلامية، فكم شقينا بمثل هؤلاء الذين لا يهمهم خلق ولا قيمة، وإنما همهم المأكل والملبس والجنس والغناء والرقص، ويرفضون أن تحكم هذه الأشياء بحدود الله ويعتبرون ذلك مسا بالحرية الفردية.

إن الإسلام بما يزخر به من أحكام جمعت بين التربية القويمة والعقوبة العادلة يبقى أمثل علاج يمكننا من حل معضلاتنا الاجتماعية والسياسية، ويوقف هذا التسيب الأخلاقي الذي أصبح يسود حياة الأسرة المسلمة، والذي هو في حقيقة الأمر نتاج الثقافة العلمانية الدخيلة والمهيمنة على أغلب مؤسسات بناء شخصية المواطن كالإعلام والثقافة والتعليم والشباب والتي تدافع وتسعى جاهدة إلى استبدال المرجعية الدولية بتعاليم الإسلام الحنيف سواء على مستوى التربية أو التعليم أو الاجتماع أو التشريع.

فكيف نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟

وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم.

السبيل



من مسالك أهل الظلم والجهل

"...و ليحذر العبد مسالك أهل الظلم والجهل الذين يرون أنهم يسلكون مسالك العلماء، تسمع من أحدهم جعجعة ولا ترى طحنا، فترى أحدهم أنه في أعلى درجات العلم وهو إنما يعلم ظاهرا من الحياة الدنيا، ولم يحم حول العلم الموروث عن سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم، وقد تعدى على الأعراض والأموال بكثرة القيل والقال، فأحدهم ظالم جاهل لم يسلك في كلامه مسلك أصاغر العلماء، بل يتكلم بما هو من جنس كلام العامة الضلال والقصاص والجهال، ليس في كلام أحدهم تصوير للصواب ولا تحرير للجواب كأهل العلم أولي الألباب، ولا عنده خوض العلماء أهل الاستدلال والاجتهاد، ولا يحسن التقليد الذي يعرفه متوسطة الفقهاء، لعدم معرفته بأقوال الأئمة ومآخذهم، والكلام في الأحكام الشرعية لا يقبل من الباطل والتدليس ما ينفق على أهل الضلال والبدع الذين لم يأخذوا علومهم من أنوار النبوة، وإنما يتكلمون بحسب آرائهم وأهوائهم فيتكلمون بالكذب والتحريف، فيدخلون في دين الإسلام ما ليس منه وإن كانوا لضلالهم يظنون أنه منه، وهيهات هيهات فإن هذا الدين محفوظ بحفظ الله له، ولما كانت ألفاظ القرآن محفوظة منقولة بالتواتر لم يطمع أحد من إبطال شيء منه ولا في زيادة شيء فيه بخلاف الكتب قبله قال تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون"، بخلاف كثير من الحديث طمع الشيطان في تحريف كثير منه وتغيير ألفاظه بالزيادة والنقصان والكذب في متونه وإسناده، فأقام الله له من يحفظه ويحميه وينفي عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فبينوا ما أدخل أهل الكذب فيه وأهل التحريف في معانيه كما قال صلى الله عليه وسلم: "لا يزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة" وقال صلى الله عليه وسلم: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين".

وقد وقع في هذا الباب كثير من الفقهاء والفقراء والعامة ونحوهم ممن فيه زهد ودين وصلاح ولكن كل من لم يكن علمه وعمله يرجع إلى العلم الموروث عن الرسول مقيدا بالشريعة النبوية، لم يخلص من الأهواء والبدع، بل كله أهواء وبدع، وقد قال عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب: "اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة فانظروا أعمالكم إن كانت اقتصادا أو اجتهادا أن تكون على منهاج الأنبياء وسننهم".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" وفي رواية: "من عمل عملا ليس على أمرنا فهو رد" وقد اتفق المسلمون على أنه ليس لأحد أن يعبد الله بما سنح له وأحبه ورآه، بل لا يعبده إلا بالعبادة الشرعية، وقد قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: "لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً" قال: "أخلصه وأصوبه قيل ما أخلصه وأصوبه قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة".

وقال أبو بكر بن عياش: "لما قيل له إن بالمسجد أقواما يجلسون ويجلس إليهم الناس فقال من جلس للناس جلس إليه ولكن أهل السنة يموتون ويبقى ذكرهم لأنهم أحيوا بعض ما جاء به الرسول فكان لهم نصيب من قوله تعالى: "وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ"، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم لأنهم شانوا بعض ما جاء به الرسول فبترهم الله فكان لهم نصيب من قوله تعالى: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) "ولهذا كانت أصول الإسلام كما قال الإمام أحمد وغيره تدور على ثلاثة أحاديث قوله: "الحلال بين والحرام بين"، وقوله: "إنما الأعمال بالنيات"، وقوله: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"، وذلك أن الدين فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، والنهي عنه ذكره في حديث "الحرام بين" وذكر حكم ما يشتبه به وما لا يشتبه به" الرد على البكري لابن تيمية رحمه الله170/1 فما بعدها.

العدد 09 ـ 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

الأطروحات الأمريكية

تقول الدوائر الأمريكية في تبرير غزوها للعراق أن الولايات المتحدة لم تأت إلى العراق لنهب البترول لأنها تكلفت حتى الآن 500 مليار دولار وبديهي أن بترول العراق لن يعوضها عن ذلك .

فهذا طرح من الأطروحات السياسية والثقافية التي تريد أمريكا ترويجها في العالم العربي والإسلامي أطروحات مريبة طبعاً، وجزئية وملفقة وتستهدف في النهاية تغيير الظروف والثقافات والأوضاع التي تفرز المقاومة والصمود والتحدي وعدم الانصياع للمشروع الصهيوني الأمريكي وبديهي أن كل المشروعات الأمريكية للإصلاح السياسي، أو تجديد الخطاب الديني أو تغيير مناهج التعليم تستهدف نفس الهدف وخاصة ما يتصل منه بقبول إسرائيل وعدم مقاومتها!!

في الإطار نفسه فإن هناك مراكز أبحاث عربية الاسم ـ أمريكية الهوى والتوجه والصنع ـ ، تقوم بترويج نفس الأفكار ومن الأفكار التي تروجها هذه المراكز في ندواتها ونشراتها مثلاً أن المقاومة العراقية تعطل نقل السلطة إلى العراقيين ، وأن ما تقوم به أمريكا يستهدف تحرير العرب من القيود التي خلفتها الحضارة العربية ـ يقصد طبعاً بالحضارة العربية الإسلام والحضارة والثقافة الإسلامية ـ وأن مشروع الشرق الأوسط الكبير مشروع مفيد يخدم الشعوب العربية ويخلصها من الديكتاتورية ويوفر لها الحرية والديمقراطية ، وأن الحكم الأمريكي هو الأفضل ويجب نسيان الحكم الإسلامي الذي لم يعد يصلح الآن ، وأن أمريكا هي رب الأسرة الدولية التي يجب أن ننصاع لأوامرها، وأنها جاءت إلى العراق لتحريره ويجب تقديرهم وشكرهم على ذلك، وأن على أمريكا أن تبقى في العراق لتأهيل شعبه وتثقيفه وتحضيره!!

ولعل من أطرف ما تقول به هذه المراكز أن الأمريكان لم يأتوا إلى العراق لنهب البترول لأنها تكلفت حتى الآن 500 مليار دولار لتحرير العراق، وبديهي أن بترول العراق لن يعوضها عن ذلك ولعل هذه النقطة جديرة بالمناقشة، فقد يكون هذا صحيحاً، ولكنه لا يعني براءة أمريكا ونزاهة أغراضها، بقدر ما يعني أن الحرب والعدوان ليس لأسباب اقتصادية وبترولية فقط، بل السبب الرئيسي فيها سبب حضاري وثقافي في إطار الرغبة في القضاء على الحضارة العربية والإسلامية وإعلاء شأن إسرائيل وهو توجه صليبي صهيوني معروف خاصة في ظل صعود اليمين المسيحي الأصولي الأمريكي المتطرف!!

رئيس الوزراء الإسرائيلي يهدد باغتيال إسماعيل هنية

في الوقت الذي يطالب فيه المجتمع الدولي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية الدول الإسلامية بتطبيق الديمقراطية ومقتضيات المعاهدات والاتفاقيات الدولية، نجد الكيان الصهيوني وحلفاؤه لا يقيمون أي اعتبار للقانون الدولي، أو حتى للأعراف الدبلوماسية والقانونية الدولية التي سطروها بأنفسهم، وهذه الحقيقة لا ينبغي أن يراودنا الشك فيها، وقد وصل الأمر بالكيان الصهيوني أن رئيس وزرائه بالوكالة "ايهود أولمرت" الذي حل محل أرييل شارون الغائب بسبب المرض في كل من رئاسة حزب "كاديما" ورئاسة الوزارة اليهودية، والذي من المتوقع أن يفوز في الانتخابات البرلمانية، وصل الأمر بهذا الرجل بأن يهدد علناً باغتيال رئيس الوزراء الفلسطيني المكلف بتشكيل الوزارة بعد فوز حماس في الانتخابات البرلمانية الفلسطينية.

تنفيذ الاغتيال في "هنية" أو غيره أمر وارد ، فاليهود لم ولن يحترموا يوماً شرعاً أو قانوناً أو عرفا، ولكن ما الهدف من إعلان هذا التهديد. حسب "أولمرت" نفسه فإن رئيس الوزراء الفلسطيني عليه الاهتمام فقط بالسياسة وأن تمتنع حماس تماماً عن أي عمليات إرهابية وإلا أُعتبر هنية مسئولاً عن ذلك يستحق الاغتيال.!! أي أن "أولمرت" يجعل من هنية وقادة حماس السياسيين مجرد رهائن في يد الكيان الصهيوني لمنع وقوع عمليات فدائية من حماس. وبديهي أن ذلك غير مبرر قانوناً فالحكومة البريطانية مثلاً لم تجرؤ على اغتيال القادة السياسيين للحزب الجمهوري الأيرلندي مع أن هذا الحزب له ذراع عسكري قام بالعديد من أعمال العنف في بريطانيا داخل وخارج أيرلندا، وداخل لندن نفسها.!!

حسناً حتى إذا استمع "هنية" للنصيحة واقتصر على السياسة فما هو المطروح أمامه من أولمرت نفسه، إن "أولمرت" صرح بأنه إذا فاز في الانتخابات اليهودية -ومن المتوقع أن يفوز - فإنه سيضع حدوداً نهائية للكيان الصهيوني تضم كل ما هو غرب الجدار، يكون الهدف منها الانفصال التام عن الكتل السكانية الفلسطينية – أي أنه لا يريد إقامة دولة فلسطينية، والتمسك بأجزاء كبيرة من الضفة، وفصل القدس السليبة نهائياً عن محيطها العربي الفلسطيني ومنع عودة اللاجئين، بل أن يتم ذلك برضا أو عدم رضا الفلسطينيين ، بغيابهم أو حضورهم، أي تصرف نهائي من طرف واحد، وهو أمر بمثابة إعلان الحرب على الفلسطينيين الذين لا يمكن أن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام منع إقامة دولتهم وعودة لاجئيهم وضياع القدس نهائياً والاستمرار في احتلال أجزاء كبيرة من الضفة مهما كانت درجة تهاونهم في حقوقهم، بل إن أي حكومة فلسطينية لن تستطيع قبول ذلك مهما كانت درجة تفريطها، وهو ما فهمه رئيس المكتب السياسي لحماس، أو أكبر قادة حماس خالد مشعل الذي علق على تصريحات "ايهود أولمرت" بقوله: "إعلان الحرب على الشعب الفلسطيني وأن "أولمرت" يكرر أخطاء شارون، وأن خطة فك الارتباط التي تقوم على الانسحاب من المناطق ذات الكثافة السكانية الفلسطينية ليس سلاماً بل إعلان حرب على الشعب الفلسطيني، وأن هذه الخطة ستؤدي إلى بقاء الاحتلال الإسرائيلي في مساحة كبيرة من الضفة الغربية وبقاء المستعمرات وجدار الفصل، وعدم عودة اللاجئين، وهكذا فإن من الأفضل لحماس ألا تنزلق إلى تنازلات، لأن الكيان الصهيوني لن يقدم شيئاً!!

أكثر من 100 قسيس أيرلندي متورطون في فضائح جنسية!!

كشفت دراسة قامت بها الكنيسة الكاثوليكية في أيرلندا أن قرابة 102 من القساوسة الكاثوليك ـ ما نسبته 3,5 - مشتبه بتورطهم في انتهاكات جنسية وجسدية لأكثر من 350 طفل في البلاد منذ عام 1940.

وبحسب وكالة "أسوشيتد برس"، قال مكتب "ديرمويد مارتن" رئيس أساقفة أيرلندا: إن نشر هذه النتائج يأتي قبل قيام اللجنة الحكومية، المكلفة بالتحقيق في تورط القساوسة في الجرائم الجنسية، بعملها آخر الشهر الجاري.

وكانت دولة أيرلندا أكثر الدول الأوروبية التي تم الكشف فيها عن فضائح القساوسة الكاثوليك منذ عام 1994.

وقال المكتب: إن نتائج هذه الدراسة اعتمدت على مراجعة استمرت لسنتين للملفات أكثر من 2800 قسيس وكاهن عملوا في أبرشية دبلن أثناء السنوات الـ66 الماضية.

ووفقًا للدراسة، فقد تمت إدانة ثمانية من قساوسة دبلن جنائيًا بتهم الانتهاك وسوء المعاملة، فيما طولب 32 كاهن آخرين بالتعويض عن الأضرار التي ألحقوها بأكثر من 105 ضحايا، وقد كلفت هذه التعويضات 5,8 مليون يورو.

وتوقعت الدراسة أن تزداد قيمة التعويضات، حيث لا تزال المحاكم تنظر في 40 قضية أخرى، واستطاعت سلطات الكنيسة في التعرف على هوية أكثر من 350 ضحية بينما سجلت 40 ضحية أخرى تعرضوا للانتهاك الجنسي، غير أنها ـ الكنيسة ـ لم تستطع تحديد هويات الضحايا.

واعتبر رئيس الأساقفة "ديرمويد مارتن" أن على الكنيسة تصفية بعض ممتلكاتها لسداد التعويضات المتزايدة، مشيرًا إلى أن هذه تضحية ضرورية لتصحيح أخطاء الماضي.!!

محادثات بين الفاتيكان وأحبار اليهود بألمانيا

شهدت العاصمة الألمانية برلين لقاءً وصفته وسائل الإعلام الألمانية بـ"التاريخي" بين الفاتيكان وأحبار اليهود في ألمانيا.

وحسبما نقلته وكالة الأنباء الألمانية فقد بدأت أمس الخميس للمرة الأولى محادثات بين الفاتيكان من ناحية ولجنة الأحبار اليهود من ناحية أخرى.

وقد التقى رئيس هيئة الفاتيكان للعلاقات الدينية مع اليهود كاردينال "فالتر كاسبر" في برلين مع "هنر براندت" رئيس لجنة الأحبار في ألمانيا بالإضافة إلى مشاركة العديد من القساوسة الألمان.

وقد قام الرجلان بمعانقة بعضهما البعض خلال زيارتهما الأكاديمية الكاثوليكية ببرلين.

جدير بالذكر أن العلاقات بين اليهود والفاتيكان علاقات متميزة وتشهد تطورًا بين الحين والآخر، وخاصة بعد دعوة "البابا يوحنا الثالث والعشرين" لعقد المجمع المسكوني الثاني خلال الفترة من 1962 ـ 1965م تحت عنوان "العلاقات بين الكنيسة وغير النصارى"، حيث تمكن أحد الكرادلة ـ وهو ألماني ـ من وضع فصل خاص باليهود على جدول الأعمال يتعلق بالمطالبة بإعفاء اليهود وتبرئتهم من مسئولية صلب المسيح التي يعتقدها النصارى، بالإضافة إلى وثيقة الاعتذار والندم التي أصدرها الفاتيكان مؤخرًا، والتي امتلأت وعجّت بعبارات التذلل والتزلف والتباكي على معاناة اليهود أثناء الحقبة النازية، والتي تعتبر خطوة جديدة نحو المزيد من تهويد الكنيسة وتقديم الدعم لـ"إسرائيل".

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

20 من تلاميذ بريطانيا يتعاطون المخدرات

أظهرت دراسة حكومية بريطانية أن 20 من طلاب المدارس الثانوية يتعاطون المخدرات، فيما يتعاطى 4 مواد شديدة الخطورة مثل "الكوكايين".

وكشفت الدراسة أن 25 من 9000 طفل -هم محل الدراسة- تتراوح أعمارهم ما بين 11-15 عامًا، عُرض عليهم الحشيش، فيما أقر 12 منهم أنهم تعاطوا هذا الحشيش.

وأشارت الدراسة إلى أن استعمال الكوكايين في هذه الفئة العمرية تزايد من 1,4 في عام 2004 إلى 1,9 في العام الماضي.

وبحسب "فرانس برس" (France Presse)، خلصت الدراسة إلى أن 4 من طلاب المدارس الثانوية يتعاطون نوعًا من أنواع المخدرات الشديدة مثل الكوكايين والهيروين.

وقال 6 من الطلاب الذين يبلغ عمرهم 11 عامًا إنهم تعاطوا المخدرات، وذلك مقارنة بـ 3 في العام الذي سبقه.

لجنة هولندية تقر حق المرأة المسلمة في رفض مصافحة الرجال

قالت لجنة هولندية يوم الإثنين إن مدرسة هولندية ارتكبت خطأ بمنعها امرأة مسلمة من الدراسة لرفضها مصافحة الرجال.

وكان مركز تعليم الكبار في بلدة "امرسفورت" بوسط هولندا قد رفض طلب المرأة المسلمة للدراسة، قائلا "إن المصافحة جزء من التعليم اليومي".

ولكن اللجنة خلصت إلى أن المصافحة في المدارس ليست ضرورية لأن هناك طرقًا أخرى لتحية الرجال.

وأضافت: "كل مدرسة ملزمة بأن تكون خالية من التمييز وأن تعامل الرجال والنساء بالمثل.

هذا الالتزام يشمل الطلاب الذين يرفضون أي اتصال جسدي لأسباب دينية"، بحسب [رويترز].

وتصدرت مسألة معارضة المسلمين للمصافحة بين الرجال والنساء عناوين الصحف في الفترة الأخيرة بعد أن رفض إمام مسجد مصافحة وزيرة الهجرة "ريتا فيردونك".

ويعيش في هولندا نحو مليون مسلم معظمهم من أصول تركية أو مغربية ويشكلون نحو 6 من السكان.

مصرع طفل كل 15 ثانية بسبب تلوث المياه حول العالم

بينما يلتقي زعماء العالم لإيجاد حلول للأزمة العالمية للمياه، دعا اجتماع تاريخي للأطفال إلى تقديم مساعدة عاجلة من أجل 400 مليون طفل يكافحون في سبيل البقاء على قيد الحياة بسبب افتقادهم للمياه الصالحة للشرب.

وقد توجه أطفال ممن شاركوا في منتدى الأطفال العالمي للمياه بهذا النداء إلى الوزراء المشاركين في المنتدى العالمي الرابع للمياه المنعقد في مكسيك العاصمة.

وحضر منتدى الأطفال هذا أكثر من 100 طفل من الناشطين في مجال المياه ممن ينتمون إلى أشد بلدان العالم فقراً وإلى البلدان الصناعية. وكان هذا المنتدى مناسبة فريدة أبدى فيها الأطفال آرائهم حول موضوع المياه.

وفي تصريح لها من نيويورك، قالت "آن م. فينمان"، المديرة التنفيذية لليونيسف فيما نقله عنها موقع الأمم المتحدة: "إن الأمراض التي تنقلها المياه تقتل طفلاً كل 15 ثانية، وتتسبب في سوء التغذية وفي الكثير من الأمراض في العالم".

ويدفع الأطفال ثمناً باهظاً نتيجة انعدام النظافة العامة في العالم حيث يعيش أكثر من بليون شخص دون مياه صالحة للشرب ويفتقر واحد بين كل ثلاثة أشخاص إلى مرحاض، ويعتبر الإسهال أكثر الأمراض تفشيا بين الأطفال دون سن الخامسة متسببا في وفاة 4500 طفل يومياً مما يجعله ثاني أكبر سبب لوفيات الأطفال.

تقول المديرة التنفيذية لليونيسف: "إن الأطفال الذي يترعرعون في ظل هذه الظروف يعجزون عن الإفلات من براثن الفقر، فالإمكانيات البشرية تستنزف من المجتمعات المحلية الفقيرة بسبب الموت والمرض، ويكون نقص النماء الزمن هو النتيجة الحتمية لذلك، ويقدر أن عدد أيام الانقطاع عن العمل أو المدرسة يؤدي إلى فقدان إنتاجية عالمية تبلغ قيمتها حوالي 63 بليون دولار كل عام.

وفي إفريقيا جنوب الصحراء، أدّت عقود من الصراع وسوء إدارة الأراضي وحالة الجفاف الحالية التي يمر بها النصف الجنوبي للقارة إلى نقص شديد في المياه، ولا يحصل أكثر من 42 في المائة من السكان على مياه صالحة للشرب، في حين تتوفر المراحيض بنسبة 36 في المائة فقط، وهذا الإقليم هو الوحيد المتخلف عن تحقيق أهدافه الإنمائية المتعلقة بكل من المياه والصرف الصحي.

وفي جنوب وشرق آسيا يمثل الصرف الصحي تحديا هاما، إذ يعيش 1,5 بليون شخص - أي أكثر من نصف جميع السكان الذين يفتقرون إلى مراحيض - في الهند والصين، مما يخلق بيئة ملوثة بالفضلات البشرية، وتمثل نوعية المياه تهديداً كبيراً ومتزايداً بالنسبة لأطفال المنطقة، فالملوثات الخطرة الموجودة في المياه الجوفية، كالزرنيخ والفلوريد، تعرِّض صحة 50 مليون شخص لخطر شديد.

مجلس الكنائس: الكنيسة هي "الصديق الدائم الوحيد" للأفارقة

أكد أمين عام المجلس المسكوني للكنائس "صاموئيل كوبيا" اليوم الجمعة أن الكنيسة شهي الصديق الدائم الوحيدص للأفارقة، وذلك نتيجة أن "المؤسسات الحكومية ضعيفة" وقد تصبح الكنيسة "أداة للتطور".

وصرح "كوبيا" أن الكنيسة مليئة بالنشاط والحيوية في إفريقيا، ولديها قدرة كبيرة على النمو، والنهوض بشكل سريع عن بقية العالم.

وأضاف إن "الكنيسة هي الصديق الوحيد الدائم للأفارقة، وأغلب المؤسسات الحكومية أصبحت ضعيفة، ويجب أن تثبت المنظمة غير الحكومية الحديثة نفسها".

وحسبما ذكرت وكالة الأنباء الفرنسية، أكد الأمين العام قائلاً: شقد تصبح الكنيسة أداة التطوير، لأنها المؤسسة الوحيدة القادرة على تقديم التعليم والصحة وكذلك أسس الزراعة والتنمية المستديمة".

وتعني كلمة الحركة المسكونية: الإرساليات التنصيرية العالمية، وكانت تعني أولاً السعي للنهوض بوحدة الكنيسة، وثانيًا بوحدة البشرية، وذلك عبر التنصير والإرساليات وعبر العمل الاجتماعي في العالم غير المسيحي. وقد شكلت الحركة التنصيرية العالمية [أو الوحدة في العمل التنصيري] الولادة الحقيقية للعمل المسكوني وللحركة المسكونية.

فأين دعوة المسلمين إلى دينهم؟

منظمة نصرانية تطالب بإقامة إقليم مسيحي شمال العراق!

طالبت منظمة نصرانية عراقية تدعى منظمة "الأحباب المسيحية" صباح اليوم الجمعة بإقامة إقليم مسيحي في شمال العراق يضم كافة نصارى العراق الموجودين في مناطق "القوش" ومحيط "تلعفر".

ونقلت بعض وكالات الأخبار أن منظمات نصرانية أمريكية وعراقية تعمل منذ شهر على عقد اجتماع موسع يضم أبناء الطوائف المسيحية للمطالبة بإقليم يضم المسيحيين فقط.

وأوضحت نفس المصادر أن تلك الدعوة تلاقي دعمًا قويًا من قبل الأحزاب الكردية في الشمال العراقي.

ولا يتجاوز تعداد النصارى في العراق نسبة 3 من مجموع السكان [يقدر تعدادهم بأقل من مليون نسمة]، ويتركز توزيعهم السكاني في المدن الكبيرة كبغداد والموصل والبصرة، زيادة على تمركزهم في قرى شمال العراق مثل تلكيف وقره قوش.

وبرغم تعدادهم السكاني الضئيل، ينقسم المسيحيون العراقيون إلى عدد كبير نسبيًا من الطوائف والأعراق: فمنهم النساطرة واليعاقبة، والكاثوليك والبروتستانت، والكلدان والسريان، والأرمن والآشوريون والسبتيون.

جريدة السبيل

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة

تصدر مرة في الشهر مؤقتا

الإيداع القانوني: 2005/0096

ملف الصحافة: 2 ن د 2004

رئيس التحرير:

إبراهيم الطالب

هيئة التحرير:

رشيد مومن الإدريسي

نبيل غزال

علي نجم

الهاتف: 17-17-78 (037)

البريد الإلكتروني

Assabil1@yahoo.fr

مفاهيم يجب أن تصحح

أبو وئام رشيد الإدريسي

ضبط معاني الألفاظ والمصطلحات

(الحلقة السادسة)

القاعدة السادسة: من له عرف في لفظه يفهم معناه من خلاله.

الشرع مبناه على قواعد عظيمة ودعائم متينة يضبط من خلالها فهم كثير من المسائل العلمية والعملية.

ومن هذه القواعد قاعدة "العرف محكم" وهي قاعدة جليلة مجمع عليها بين العلماء. انظر شرح جمع الجوامع للمحلي رحمه الله، وحاشية البناني رحمه الله على شرح المحلي.

قال تعالى: "وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ" الأعراف199.

قال ابن القيم رحمه الله بعدما ساق هذه الآية: "وأوجبت الشريعة الرجوع إلى العرف عند الاختلاف في الدعاوى كالنقد وغيره" الطرق الحكمية 115.

وقد قسم العلماء رحمهم الله العرف إلى أقسام وأنواع كثيرة باعتبارات مختلفة ومن هذه الأنواع التي نحن في صدد الكلام عنها ما يسمى بـ"العرف اللفظي".

حقيقة العرف اللفظي

العرف اللفظي: هو ما شاع بين الناس من استعمال ألفاظ ومصطلحات في معنى خاص، بحيث يصبح ذلك المعنى هو المتبادر منها إلى الذهن عند الاطلاق بلا قرينة ولا علاقة عقلية، ويتكون هذا العرف من اتفاق الناس على هجران المعنى الأصلي، وينقلون اللفظ بواسطة الاستعمال المتكرر الشائع إلى المعنى الثاني، وهذا الاستعمال يعتبر وضعا حتى إذا أطلقوه في مخاطباتهم كان حقيقة عرفية، لأنه لفظ مستعمل فيما وضع له في عرف التخاطب، و يسمى كذلك عند الفقهاء بالمجاز الراجح.

فلفظ الدرهم مثلا يطلق في الأصل على نقد فضي مسكوك بقيمة محددة ووزن معين، غير أن هذا اللفظ إذا أطلق اليوم فإنه ينصرف إلى مطلق العملة الرائجة في البلد مهما كان



نوعها وقيمتها بما في ذلك الورق النقدي.

قال ابن فرحون رحمه الله: "ينبغي أن تعرف أن العادة في اللفظ أي: (العرف اللفظي أو القولي) أن يغلب استعمال لفظ في معنى حتى يصير هو المتبادر إلى الذهن، من ذلك اللفظ عند الاطلاق، مع أن اللغة لا تقتضيه وهو الحقيقة العرفية والمجاز الراجح، وهو معنى قول الفقهاء العرف يقدم على اللغة" التبصرة 57/2.

وقال القرافي رحمه الله: "إن العرف القولي أن تكون عادة أهل العرف يستعملون اللفظ في معنى معين ولم يكن ذلك لغة" الفروق71/11.

من له عرف في لفظه يفهم معناه من خلاله (مراعاة الدلالة العرفية)

قال القرافي رحمه الله: "إن من له عرف وعادة في لفظه إنما يحمل لفظه على عرفه" تنقيح الفصول211.

وقال السبكي رحمه الله: "فكثيرا ما رأيت من يسمع لفظة فيفهما على غير وجهها، والخبرة بمدلولات الألفاظ -ولا سيما العرفية التي تختلف باختلاف أعراف الناس، وتكون في بعض الأزمنة مدحا وفي بعضها ذما (قلت: كما أنها في بعض الأمكنة مدحا وفي بعضها ذما)- أمر شديد لا يدركه إلا قعيد بالعلم" قاعدة في الجرح والتعديل (ق:68).

وقال شيخ الشيخ الإسلام رحمه الله في "الجواب الصحيح"44/4 "يجب أن يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض، ويؤخذ كلامه من ها هنا وها هنا، وتعرف ما-عادته- يعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به تعرف المعاني التي عُرف أنه أرادها في موضع آخر، فإذا عرف عرفه وعادته في معانيه وألفاظه، كان هذا مما يستعان به على معرفة مراده.

وأما إذا استعْمِلَ لفظه في معنى لم تجري عادته باستعماله فيه، وترك استعماله في المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه، وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عرف أنه يريده بذلك اللفظ بجعل كلامه متناقضا، وترك حمله على ما يناسب سائر كلامه: كان ذلك تحريفا لكلامه عن موضعه، وتبديلا لمقاصده وكذبا عليه"اهـ

مفهــوم الوسطية

دين الله جل وعلى بين الغالي فيه والجافي عنه وخير الناس النمط الأوسط الذين ارتفعوا عن تقصير المُفرّطين ولم يلحقوا بغلو المعتدين.

قال وهب بن منبه رحمه الله: "إن لكل شيء طرفين ووسطا، فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر وإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالأوساط من الأشياء". اهـ أخرجه أبو يعلى في المسند وأبو نعيم في الحلية.

قال بعضهم:

عليك بأوساط الأمـور فإنهـا   نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

لكن العجيب أن الكل يدعي الوسطية لنفسه:

فالخارجي يدعي أن مذهبه وسط.!!

والمرجئي يدعي أن مذهبه وسط.!!

والعقلاني يدعي أن مذهبه وسط.!!

وكذلك العلماني يدعي أن منهجه وسط.!!

بل تجد كل صاحب هوى يدعي أن طريقته وسط!! حتى انتشر في كثير من الكتابات المعاصرة حالة تكون على التوفيق بين السنة والبدعة بل بين الكفر والإسلام كما في دعوتي: السنة والشيعة والنصرانية والإسلام كل ذلك بزعم التمسك بالوسطية!!

حقيقة الوسطية

لغة: قال ابن فارس رحمه الله: "الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنّصَف، وأعدل شيء: أوسطه ووسطه" معجم مقاييس اللغة 108/6.

أما شرعا: فالوسطية والتوسط في الدين هي: كل حق بين باطلين من الاعتقادات والأعمال والأخلاق.

ولذا كان من سلم لله ورسوله عليه الصلاة والسلام وعمل بما ورد في القرآن وصحّ عن الرسول عليه الصلاة والسلام، وسار على نهج السلف الكرام في العقائد والشرائع فهو من أهل الوسطية والاعتدال، وكل من تعدى حدود الشرع أو قصر عن القيام بها فقد خرج عن دائرة الوسطية بحسب تجاوزه أو تقصيره.

قال تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ" البقرة 143.

قال ابن كثير رحمه الله : "ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصّها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، كما قال تعالى: "هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ " الحج: 78 "تفسير القرءان العظيم" 191/1.

ومن ثم نقول: ليس الوسط أن يأخذ المرء من ها هنا، ومن ها هنا، حتى يخرج بقول رابع ليس هو من الحق الخالص ولا هو- في نفسه- إلى مقالة هؤلاء ولا إلى مقولة أولئك.!!

وسط فضفاض!! تخترعه العقول والأهواء بالأماني فهذا عن الهدى بعيد وصاحبه عن طريق الحق شريد..

فالوسطية الحقة -إذن- تعرف وتتميز عن غيرها بطاعة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام والتسليم لهما ظاهرا وباطنا دون تقصير مرير، ولا غلو خطير.

قال ابن القيم رحمه الله: "والفرق بين الاقتصاد والتقصير أن الاقتصاد هو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وله طرفان هما ضدان له تقصير ومجاوزة فالمقتصد قد أخذ بالوسط وعدل عن الطرفين قال تعالى: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً" وقال تعالى: "وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ" وقال تعالى: "وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوا"، والدين كله بين هذين الطرفين بل الإسلام قصد بين الملل، والسنة قصد بين البدع، ودين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وكذلك الاجتهاد هو بذل الجهد في موافقة الأمر، والغلو مجاوزته وتعديه، وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: فإما إلى غلو ومجاوزة، وإما إلى تفريط وتقصير، وهما آفتان لا يخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل إلا من مشى خلف رسول الله وترك أقوال الناس وآراءهم لما جاء به، لا من ترك ما جاء به لأقوالهم وآرائهم، وهذا أن المرضان الخطران قد استوليا على أكثر بني آدم، ولهذا حذر السلف منهما أشد التحذير، وخوفوا من بُلي بأحدهما بالهلاك، وقد يجتمعان في الشخص الواحد كما هو حال أكثر الخلق، يكون مقصرا مفرطا في بعض دينه غاليا متجاوزا في بعضه والمهدي من هداه الله" الروح 346-347.

قال أبو عبيد رحمه الله في معرض الحديث عن خيرية الوسطية: "ومنه حديث أبي موسى، في حامل القرآن غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، فالغالي: المُفرطُ في اتباعه حتى يخرجه إلى إكفار الناس، مثل الخوارج، والجافي عنه: المضيع لحدوده، المستخف به" الأمثال173.

قال بعضهم:

لا تذهبن في الأمور فرطا   لا تسألن إن سألت شططا

وكن من الناس جميعا وسطا

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

الإسلام بين الإرهاب العلماني والتطرف الديني

صحافة اليسار تكذب القرآن الكريم

هل نحارب الإرهاب بالموسيقى أم نحارب الإسلام بالتفسخ؟

بقلم: إبراهيم الطالب

تابع الصفحة :1

....

ومن تلك المفاهيم الملتبسة: ربطُ إعفاء اللحية والحجاب بالتطرف والإرهاب، فأصبح عند بعض الناس -والحمد لله أنهم قلة- كل من أرخى لحيته إرهابيا أو مشروع إرهابي، وكل من لبست النقاب إرهابية، وقد ساهم في إيجاد هذا الانطباع -بالإضافة إلى عداء وتشغيب العلمانيين-، انتسابُ مرتكبي الجرائم الدامية إلى بعض التيارات الإسلامية، وكذا القوة الشديدة التي شابت الحملات الأمنية ضد الأشخاص الذين أدينوا في ملفات أحداث 16 ماي المؤلمة.

فرغم وجوب الضرب على يد كل من تورط في تلك الجرائم البشعة أو شارك فيها، فإنه تبقى توسعة دائرة الاشتباه عاملا يزيد من انتشار الفكر المتطرف ويُعطي لضعاف العقول مسوغات لأعمال شغب أخرى -لا سمح الله- حيث تتم قراءة كل رد فعل غال أو انتهاك للحقوق سافر كما لو كان حربا تقوم بها الدولة على الإسلام وأهله حتى ولو كان ذلك الانتهاك اجتهادا شخصيا من طرف بعض القائمين على ملفات مكافحة التطرف.

إلا أن المشكلة ليست في الخروقات والانتهاكات التي أسفرت عنها تلك الحملات الأمنية فقط، وإنما المعضلة الكبرى تتمثل في الاستغلال البشع من طرف العلمانيين سواء اللبيراليين أو الاشتراكيين والذي أصبحت مظاهره لا تخفى حتى على الغافل من الناس.

أحداث 16 ماي والعدوان العلماني السافر على الإسلام

منذ فجر الاستقلال ما فتئت الأحزاب اليسارية تتناسلُ وتفرِّخ أحزابا ومنظمات وجمعيات تروج للفكر اليساري والشيوعي المنحرف عن هدي القرآن والسنة، وكان العلماء يتصدون إلى الهجمات الهمجية التي كان يشنُّها العلمانيون اليساريون على الدين وأهله ومن يراجع كتب ومقالات العلماء المغاربة الذين كانت تضمهم وتؤلف بينهم "رابطة علماء المغرب" التي نتمنى أن تعود للدفاع عن حرمة الدين وهوية البلاد، يدرك حدة الصراع الذي كان بين الإلحاد الشيوعي اليساري العلماني وبين العلماء والدعاة، وتوالت الأحداث وتتابعت الوقائع وسقط صنم الاشتراكية والشيوعية وانصهر الكل في بوتقة العلمانية الليبرالية، وجاءت ثالثة الأثافي، أحداث 16 ماي الأليمة لينتفض العلمانيون من لبيراليين جدد واشتراكيين قلبوا معاطفهم وركبوا قطار الثقافة الأمريكية بمسوح اشتراكية بالية ما زالت تقتات من تاريخ الستينيات والسبعينيات والثمانينيات، تستمد منه مشروعيتها ومسوغ وجودها رغم سقوط اديولوجيتها المادية العفنة، انتفضوا انتفاضة من كان يبحث عن مستمسك يبقيه على قيد الحياة فجاءت الأحداث الإرهابية الدامية ليُدخِلوا الإسلام في قفص الاتهام وليُصرح كبرَاء أحزابهم أن: "ليس في القنافذ أملس فالإسلامي المتطرف لا يمر إلا عبر الإسلامي المعتدل"، وتنادى القوم إلى التصدي لكل مظاهر التمسك بالسنة النبوية، فصار النقاب والحجاب -وهما يمثلان الحايك وجلباب المرأة المغربية- لباس الأفغان وأصبح اللباس المراكشي" الذراعة" والجلباب الرجالي المغربي عندما أضيفت إليهما اللحية وقص الشارب مستوردين أيضا من بلاد الأفغان، وأصبحت المساجد منابت للإرهاب، ودور القرآن محاضن للإرهابيين، فهكذا فجأةً أصبح لباسنا إذا ما كان مصاحبا لـ"نَعْمَوَتاي" لباسا مغربيا تقليديا وإذا صاحبته سنة النبي صلى الله عليه وسلم أصبح إرهابيا.

فإذا افترضنا جدلا أن "الذراعية المراكشية" والنقاب المغربي هما لباس الأفغان، فهل سراويل "دجينز" "ومي فونتر" أي: التنورة القصيرة واللباس الكاشف الفاضح المستورد من بلاد العلمانيين الأوربيين والأمريكان هو من يُمثل اللباس المغربي الأصيل؟

فلماذا هذا التلبيس العلماني الماكر؟

وما علاقة اللباس بالإرهاب؟

ولماذا لا يربط العلمانيون بين ضفائر وقبعات الصهاينة السوداء ولحى أعضاء حزبي "الليكود وشاس" وبين مجزرة الحرم الإبراهيمي في القدس السليبة وما يقترفه الصهاينة من جرائم إرهابية في حق الأطفال والنساء؟

تكذيب العلمانيين للقرآن الكريم

ربما ظن من لا يتابع ما تنشره الصحافة العلمانية أن مثل هذا العنوان افتراء على بني علمان، لكن الأمر ليس كذلك، فالصحافة العلمانية ما فتئت تنكر المعلوم من الدين بالضرورة، فالحجاب الشرعي عندها عادة اجتماعية، والخمر لم يحرمها الإسلام، والردة عن الإسلام حرية للاعتقاد، أما التلبيسات وتزوير التاريخ وتبني أفكار المستشرقين الصليبيين عن الإسلام فلا يكاد ينحصر، وأما الدعوة إلى الشذوذ والعهر والتسيب فهذا ما لا يحتاج إلى تمثيل.

إن عداء العلمانيين لأحكام الدين وللهوية الإسلامية واضح مكشوف ينشره العلمانيون كل يوم على صفحات جرائدهم لا يخاف كتابُه العقوبة القانونية المتعلقة بزعزعة عقيدة مسلم، لهذا وحتى يستبين القارئ الكريم حقيقة العلمانيين نسوق إليه مرغمين ما جاء في مقال معنون بـ "الصحاح في نقد الملاح" وهو غيض من فيض بحار العداء للإسلام وأهله والتي تطفح بها جرائد العلمانيين ومنها جريدة "الأحداث المغربية" التي نشرت المقال المذكور في عددها 2606 بتاريخ 21 مارس 2006، يقول المقال: "..دعونا نلتفت إلى ظاهرة مهمة وحيّة وشديدة التأثير في الحياة العربية المعاصرة الآن، وهي ظاهرة الغناء العربي الشبابي الجديد، الذي أخذ يستقطب مجموعات كبيرة من الشباب والشابات في كافة أنحاء الوطن العربي، ويؤثر تأثيراً ثقافياً واضحاً في الجيل العربي الطالع من حيث أنه يشبكه ويهمكه في الحداثة الفنية وفي الليبرالية الاجتماعية، التي قد تؤدي إلى الليبرالية السياسية، ويبعده عن مصائد شبكات الإرهاب التي تصطاد الشباب وتجندهم لمزيد من العمليات الإجرامية في المستقبل، فهل هذا الغناء الجديد، سلاح حاد في وجه موجات الإرهاب التي تجتاح العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه، وعلينا أن نشجعه، فالوقوع في غرام نانسي عجرم أو أليسا، أو روبي أو هيفاء وهبي، أفضل بكثير من الوقوع في شِباك ابن لادنٍ والظِواهري والزرقاوي، بل أكثر أماناً وأمناً للشباب الموعودين بحوريات خيالية وسحرية في الجنة من طراز هذه الحوريات الحقيقية؟".

فلينظر القارئ المغربي المسلم، ولينظر كل غيور على دينه وبلاده كيف صار كلام الله تعالى وما أخبر به سبحانه خيالا وسحرا عند العلمانيين، فالحور العين نصت عليها سورة الرحمن إذ قال سبحانه يعد المؤمنين: "حور مقصورات في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان، لم يطمثهن إنس قبلكم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان"، وليمعن القارئ الكريم النظر في قول "الأحداث المغربية": "..الموعودين بحوريات خيالية وسحرية في الجنة من طراز هذه الحوريات الحقيقية؟

فالحوريات الحقيقية عند أصحاب "الأحداث" هن: "نانسي عجرم"و"أليسا"، و"روبي"و"هيفاء وهبي"والذي وصفهن المقال نفسه في موطن آخر بقول مُسوِّدِه: "وجيل نانسي عجرم من المغنيات الراقصات هنَّ "عوالم" القرن الحادي والعشرين، وهنَّ نموذج للنساء الفاتكات للرجال بجمالهن وسحرهن، فلا يبعثن في الناظر غير المتعة الجنسية، وسالفن هو هذا الخيال الجنسي"، كما يقول الناقد المسرحي الأمريكي جورج ناثان، والجنس هو محرك رئيسي في الحياة العربية المنغلقة منذ 14 قرناً وإلى الآن."

فماذا تعني هذه المدة 14 قرنا أليست ترمز إلى بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وسيادة نظرة العفة والحياء الإسلامية التي يحاربوها العلمانيون؟

وهل نحارب الإرهاب بالموسيقى أم نحارب الإسلام بالتفسخ؟

ولينظر القارئ الكريم أيضا إلى حقيقة الحداثة، والليبرالية الفنية التي يتحدث عنها العلمانيون والتي يبشرونا بأنها ستقودنا إلى الليبرالية السياسية.

خدعة التنوير والازدهار والتقدم والرقي

إن الشعارات التي يرفعها الكثير من أدعياء الإصلاح اليساريين العلمانيين لا ينبغي أن تنطلي على مغربي مسلم، فعند تمحيصها وإرجاع النظر في حال أصحابها وحقيقة مرجعيتهم الفكرية وتاريخ ومواقف المؤسسات التي يعملون في إطارها، ينكشف لك بعد التمحيص والدرس أن أغلبها مبني على ما أسس عليه العلمانيون الأوربيون مجتمعاتهم والتي وصلت إلى إباحة الشذوذ وحمايته، وتقنين البغاء ورعايته، وأن كل ما يدعون إليه لا صلة له بالإسلام ولا بطموحات المسلمين وقناعاتهم، ناهيك عن الكيد المبطن والعداء المدسوس وراء بريق العبارة، وإغراء الألفاظ، وتلميع الرموز.

فشعارات الانفتاح والتعايش ودعاوى التنوير والازدهار والتقدم والرقي تبقى في برامج العلمانيين "إيديولوجيا" يتوارون وراءها ويخدعون بها المواطن البسيط حتى يتمكنوا من الإجهاز على ما تبقى لديه من غيرة على دينه ووطنه، محاولة منهم في اللحاق بالدول الغربية في تقدمها وازدهارها.

فمن منا يكره التنوير والازدهار والتقدم والرقي والعزة والمنعة والتمكين؟ لكن دون ذهاب الدين ومعصية الله ورسوله.

ثم إذا كان فكر العلمانيين المتسلطين على وزارات الشباب والعدل والمالية على شاكلة فكر كتاب جريدة الأحداث التي تمثل الجناح الموالي لوزير إعداد التراب الوطني وهو من زعماء اليسار والأمين العام لأكبر حزب يساري بالمغرب، فإن السؤال الذي لا يطرح أبدا مع إلحاحية طرحه هو:

هل نحن بالفعل على طريق التنوير والازدهار والتقدم عندما نفسح المجال لثقافة الشذوذ والدعارة وحرية الكفر والزندقة أن تعيث في عقول أبنائنا وبناتنا والتي يروج لها العلمانيون ويناضلون من أجلها ؟

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

"خميســـــة" تكريم أم إهـــانـــة؟

بقلم
إبراهيم الوزاني

تعتبر القناة الثانية أكثر القنوات رواجا بالمغرب، بل وتلقى اهتمام شرائح مهمّة من شرائح المجتمع المغربي، وأهمّ هذه الشرائح المثقفين والشباب، وذلك بسبب غناها بالبرامج واهتمامها بمشاكل المجتمع المغربي ومحاولة بحثها عن الحلول الملائمة لهذه المشاكل، ولكن الطامة هي أنها تنظر إلى هذا المجتمع الإسلامي بمنظار علماني حاقد عن الإسلام وعن كل القيم الأخلاقية وهذا أمر واضح لكل متأمل فيما تبثه من مواد.

إن أكثر برامج هذه القناة سمَاها العري والتفسخ والدّعوة إلى الرذيلة وإلى التميّع والجنس وذلك عبر السهرات الفنيّة المتفسخة فما تلبث أن تمرَّ سهرة إلا وأقيمت أخرى يُستضاف فيها أشهر المغنيات والمغنيين المغاربة والأجانب، ناهيك عن الفيديو كليبات والأفلام والمسلسلات التي تشيد بالتمرد عن الدين والقيم وتدعو للعلاقات غير الشرعية من الزنا والخيانة الزوجية...

ولقد أقامت القناة الثانية بمناسبة اليوم العالمي للمرأة يوم 8 مارس 2006 حفل "خميسة"، هذا الحفل الذي يعد كما تقول هذه القناة تظاهرة فريدة من نوعها، وهي مخصصة لتكريم خمسة أسماء من بين النساء الأكثر حضورا وفعالية في الميادين التالية: العمل الاجتماعي والتنموي، المقاولة والخدمات العمومية، حقوق الإنسان، الثقافة، الرياضة.

قبل بدء الكلام عن هذا الحفل لا بد أن نعرف كيف ينبغي أن تكرّم المرأة وإلا اختلطت المفاهيم كما هو حاصل عند أغلب الناس، فالمرأة في الإسلام هي شقيقة الرجل أكرمها الله بهذا الدين وشرّفها بهذه الشريعة، فهي في أعلى مقامات التكريم فإن كانت أمّا فلها البر والإحسان، أو بنتا فلها الرعاية وحسن التربية، أو زوجة فلها الود والرحمة والسكن، أو امرأة من سائر أفراد المجتمع فلها الإحترام والتقدير والصيانة.

فالمرأة في الإسلام حرة كريمة مصونة ذات حقوق مرعية، لا ظلم عليها ولا جور، وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم تكريم المرأة وصيانة حقوقها في أعظم مجمع شهده التاريخ آنذاك في خطبة يوم عرفة في حجة الوداع، حين قال صلى الله عليه وسلم: "فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله" رواه مسلم.

إذن السؤال الذي يطرح نفسه، هل تظاهرة مثل حفل "خميسة" يعد مظهرا من مظاهر تكريم المرأة؟ أم هو دعوة للمرأة للخروج عن القيم والأخلاق؟

والجواب إذا كان هذا الحفل لتكريم المرأة، فأين ربّة البيت التي فرّغت وقتها وجهدها لتنشئة جيل ذو تربية طيبة من هذا التكريم؟ بل وأين المرأة الفقيرة التي تصارع مشاكل الحياة من أجل الحصول على لقمة العيش من هذا التكريم؟ بل وأين المرأة العالِمَة الربّانية التي تحمل كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا التكريم؟

نعم نحن مع تكريم المرأة وهذا ما جاء به ديننا الحنيف، نحن مع تكريم المرأة التي طبقت أحكام ربّها ورضيت الإسلام دينا لها، ولسنا ضد مشاركة المرأة في النهوض بالأمّة ولكن بالشرط السابق.

فهل تكريم المرأة هو أن تلبس أجمل ثيابها وتتجمَّل وتتزيّن وتظهر مفاتنها على مرءى من آلاف المتفرجين بل ويمسك بيدها رجل أجنبي عنها، ويقدمها كي تنال جائزتها من آخر يقبِّلها..فهل هكذا تكرَّم المرأة!! فأما في الإسلام فلا، وأما عند العلمانيين فنعم، لأنهم قتلوا الغيرة عند الرجل والمرأة منذ صغرها عبر التعليم المختلط.

ومن الأنشطة المظلمة في هذا الحفل ما تخلَّله من فقرات غنائية بمشاركة مغنيين أجانب أمثال باسكال أوف بوليود، إيف أنجيلي، ولارا فابيان محترفة الإغراء.... فهل بأمثال هؤلاء تكرم المرأة المسلمة!!

وأما الوجه الأسود لهذا الحفل فهو ما كان في الكواليس ولم تنقله القناة الثانية فقد عرف الحفل فقرات أخرى تمثلت في سهرتي الاستقبال والاختتام بأحد كازينوهات مراكش وكذلك اللقاء الذي تم نهار السبت4 مارس 2006 والتي تم تنشيطها براقصات ارتدين أزياء الرقص الشرقي الخليع وهن شبه عرايا، واللواتي جذبن الإنتباه إليهن حتى انخرط جل الحاضرين في الرقص معهن، فهل بالعري والرقص الماجن تكرَّم المرأة؟.

و السؤال الأخير الذي نوجهه للمسؤولين على أموال البلاد والعباد هو: لماذا تضيع الأموال العامة التي تقتطع من أموال الشعب من خلال الضريبة المفروضة والمصاحبة لاستهلاك الكهرباء (TPPAN، ض.ن.ف.س.ب.و)، والتي لا تعفى منها حتى المساجد والكتاتيب القرآنية لتنفق على مثل هذه التظاهرات؟ التي ظاهرها تكريم المرأة وباطنها دعوتها إلى التمرد على القيم والأخلاق.

نشرات أحلى الرنات وأروع الشعـارات والإستهزاء بالمقدسات

إن الصحف العلمانية ألغت من قاموسها خلقا يسمى الحياء، أو بالأحرى هي تحارب هذا الخلق، ولا تعرف للشعائر الدينية تقديسا، وجندت أقلامها لإغراق المشهد العلمي بوابل من الشبهات، ردًّا منها لكلٍّ مقدس أوشعيرة في هذا الدين، إما بظاهر العبارة أو بالتلميح والهمز، وقد سلكت طرقا لتحصيل هذه الغاية.

ومن بين الطرق التي تسلكها في مسيرة الكيد للأخلاق والمقدسات تلك النشرات التي تنشرها في أسفل بعض صفحاتها، تعنون لها إما بـ: أحدث الرنات وأروع الشعارات، أو بجديد... أو بدون عنوان فنص الموضوع معلوم. هذه النشرات ملئت بأرقام لأحدث الرنات والنغمات الموسقية بشتى أنواع الغناء،.. كما أن فيها دعوات لإقامة علاقات مشبوهة بدعوى الصداقة والتعارف، وبدعوى البحث عن شريك الحياة ورفيق العمر، هذا صحيح ولكن بدون عقد، وبدون علاقة زوجية،.... كما أن هذه النشرات هي من أهم منابر الدعاية للسحر والشعوذة والكفر بالغيب في بلادنا، كل هذا بدعوى قراءة الفنجان والكف، ومعرفة قدر الأبراج الشيطانية... كما أنها دعوة للدردشة والترويج عن النفس باستماع الأغاني الماجنة والنكت، وعرض المشاكل الشخصية لإيجاد حل مناسب...

وأما ما يشغل الحيز الأكبر من هذه النشرات فهي تلك



الشعارات التي تُزيَّن بها شاشات الهواتف النقالة التي شغلت الشباب عن معرفة هدفهم من الحياة... هذه الشعارات عبارة عن صور لمغنيات صدورهن شبه عارية، وصور لغانيات عاريات، وصور لأطفال رضع منهم من وضعت السجارة في فمه، ومنها صور لمناظر طبيعية كتب عليها كلام فاحش، وبجانب هذا الفسق والمجون شعارات كتب عليها أدعية، أو سور قرآنية قصيرة، أو كلمة التوحيد لا إله إلا الله، أو لفظ الجلالة، أو صورة للكعبة والمصحف محادية لصورة امرأة عارية.

أليس هذا استهزاء بالركن الأساسي من أركان الإسلام (لا إله إلا الله)؟!

أليس هذا من قبيل تدنيس المقدس الذي هو مبدأ من مبادئ العلمانية الحاقدة والمعادية للدين؟!

ألا يعتبر نشر صور للكعبة والمصحف الشريف بمحاداة صور الغانيات تزهيدا للشباب المسلم في توحيده وعبادته وذكره لربه سبحانه وتعالى؟!

ألا يستوجب هذا حربا من العلماء المخلصين على مثل هذه الإساءات لشعائر الدين؟!

وأخيرا ألا تستلزم هذه الإساءات تدخلا للمسؤولين والجهات الإدارية المنوط بها حماية مقدساتنا وشعائر ديننا؟!

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

صفقة الموانئ الأمريكية

قامت شركة دبي القابضة "شركة موانئ دبي العالمية" مؤخرا، وهي ملك لدول الإمارات العربية المتحدة وتعتبر ثالث أكبر مشغل للموانئ في العالم، بشراء شركة بريطانية في هذا الإطار بمبلغ 6,8 مليار دولار أمريكي.

يعطي هذا الشراء الحق لشركة دبي القابضة في إدارة 6 موانئ أمريكية مع مرافقها وهي: نيويورك، وميامي، والزابيث، وفيلاديلفيا، ونيوأورليانز، وبالتيمور. وقام السياسيون في هذه المدن بدق ناقوس الخطر محذرين من "وقوع منشآت حيوية في أيدي العرب" ومطالبين بإلغاء هذه الصفقة، والحيلولة دون موافقة بوش عليها ومنعه عبر القنوات القانونية والإعلام.

أسباب التخوف؟

استنادا إلى الجهات المعارضة لهذه الصفقة، فإن السبب الرئيس في رفضها هو وجود اثنين من خاطفي الطائرات في عملية 11 شتنبر 2001 من الجنسية الإماراتية، أما السبب الثاني فهو التخوف من أن تقوم الشركة التي تملكها الإمارات بتوفير مدخل للإرهابيين سواء عبر الأفراد أو الأسلحة إلى أرض الولايات المتّحدة الأمريكية.

هذا، ويرى آخرون أن التخوف يأتي من حقيقة أن الولايات المتحدة يدخلها أكثر من 9 مليون حاوية سنويا وبحجم هائل، الأمر الذي يعني أن عددا ضئيلا من هذه الحاويات تخضع للتفتيش الدقيق والكامل، وهو ما يشير بدوره إلى إمكانية قيام أي جهات تنوي إلحاق الضرر بأمريكا بتهريب رجال أو أسلحة للقيام بأي عملية داخل أمريكا عبر هذه الحاويات، خاصة أن أكثر ما يثير القلق هو إمكانية تهريب أسلحة دمار شامل عبر أي من هذه الحاويات الغير خاضعة للتفتيش.

هل هذه المسوغات منطقية؟

يبدو أن الولايات المتحدة فقدت توازنها بشكل كامل بعد عمليات 11 شتنبر، وأصبحت الآن تعاني من هلوسة أمنية أو "فوبيا" أمن قومي إن صح التعبير، وهذا ما ينعكس سلبا على طريقة رؤيتها للأمور.

يقول "كيرك باتريك" وهو أحد الباحثين المساعدين في مركز الأمن القومي للدراسات، إن هذه الحجة واهية، ويسند كلامه هذا بالقول لو كان هذا صحيحا، فلماذا لم يعترضوا على إدارة الشركة البريطانية لهذه الموانئ الأمريكية، خاصة أن "ريتشارد ريد" الملقب بصاحب الحذاء المتفجر، هو بريطاني الجنسية !! "ريتشارد ريد" مفجر الحذاء الذي يقضي حاليا عقوبة السجن مدة الحياة لإدانته بمحاولة تفجير رحلة طيران عبر الأطلسي بواسطة قنبلة كانت مخبأة في حذائه عام 2001.

ومن المؤكد أن المخاوف هذه ليست حقيقية، وهي إن تحققت بغض النظر عن جنسية الشركة المشغلة أو مقرّها أو قدراتها، وذلك لعدد من الأسباب منها:

أولا: صحيح أن هذه الشركات المشغلة للموانئ ستتولى العمل منها وإليها، لكنّ مسائل الأمن في الموانئ وتفتيش الحاويات وحراسة الساحل قبالة هذه السواحل ستبقى من اختصاص السلطات الأمريكية الرسمية.

ثانيا: فيما يتعلق بالعاملين في الموانئ هذه، فإنه على الشركات التي تديرها ومن بينها الشركة الإماراتية أن تختار العاملين من خلال جهتين أمريكيتين حصريا، تؤمّنان لمثل هذه الشركات العمال اللازمين لإدارة وتشغيل الميناء وجميع العاملين دون استثناء، ومهمتّهم نقل البضائع من السفن إلى الميناء ومن الميناء إلى الشاحنات والعكس بالعكس، ومن هنا يتبين أن الأمريكيين سيتولون مسئولية نقل الأمتعة أيضا من وإلى الميناء.

ثالثا: إن هناك شركات أجنبية غير أمريكية تدير عدة موانئ أمريكية أيضا، فلماذا لم يتم إثارة هذه القضية إلا في وجه هذه الشركة الإماراتية؟! ثم إن هذه الشركة تدير موانئ في كل من ألمانيا، الصين، استراليا، وكوريا الجنوبية وفقا لتقرير محطة سي. بي. اس الأمريكية (C.B.S)، ومع ذلك لم يعترض هؤلاء عليها استنادا إلى مسألة الأمن القومي.

العولمة والتحرر التجاري ينقلب كابوسا على أمريكا

من المعلوم أن العولمة الهادفة إلى التحرر نهائيا من القيود وفتح الأسواق وتدفق الاستثمارات تتولى الترويج لها الولايات المتحدة الأمريكية في هذا العصر، وما كانت لتشجع ذلك لو أنها غير مستفيدة بشكل كبير، وذلك عبر ممارسة نفوذها وإغلاق الأبواب أمام الاستثمارات متى تشاء وحجز الأموال وتجميدها متى تريد.

الأمريكيون الآن يمرون بمرحلة أزمة أمنية واقتصادية كبيرة جدا، وهم من هذا الباب بدؤوا يلمسون أن الشركات الأجنبية تغزوهم من كل حدب وصوب عملا بقاعدتهم الشهيرة حول تحرير الأسواق وعولمة الشركات، وقد انعكس ذلك على نظرتهم وتصرفاتهم تجاه الآخرين، خاصة أن الولايات المتحدة كانت قد منعت مؤخرا عبر قرار من الكونجرس شركة الصين الوطنية للبترول "سينوبك" من شراء "أونكل" النفطية الأمريكية، بحجة أن هذه الصفقة تهدد الأمن القومي الأمريكي!

وضمن هذا الإطار، يسخَر الكاتب "ديفد بروكس" من الوضع في أمريكا قائلا: "شد انتباهي أن كثيراً جداً من البضائع الأجنبية المستوردة إلى بلادنا، يصنعها أجانب يتحدثون لغات أجنبية نجهلها،...وأن الكثير من أنواع الحمص والخبز الذي يأتينا، إنما يصنعه العرب الذين تنتمي إليهم تلك المجموعة الإرهابية التي نفذت هجمات الحادي عشر من شتنبر! كما انتبهت أيضاً إلى الهيمنة الصينية المطلقة على كافة الألعاب والدمى والمنتجات التي نستخدمها في تسلية أطفالنا.

ولكل هذه الأسباب، فلعله حان الوقت لصياغة مسودة قانون "أنقذوا أطفالنا" ضمن تشريعات الأمن القومي، شريطة أن يتخذ طابعاً عرقياً، يهدف ضمن ما يهدف، إلى منع المسلمين من شراء شركات إدارة الموانئ الأميركية، وإلى منع الصينيين من شراء شركات النفط والشركات القومية المصنعة لألعاب الأطفال... إلخ. ولكي نوجز القول، فإن المطلوب لحماية أمننا القومي ونمط حياتنا الأميركي، هو تنظيم حملة واسعة النطاق قوامها كره الأجانب ومعاداتهم، وهدفها إبراز وجهنا القومي الذي يؤكد للأجانب أننا لم نعد رهناً لأساليبهم الماكرة الخبيثة! وإن كنت ممن يجزعون لموعد انطلاق حملة كهذه، فلتكف عن



الجزع طالما أن حمى الهستيريا القومية الانعزالية العامة قد اشتعلت سلفاً!".

ألم يتفطن الأمريكيون إلى أنهم هددوا ويهددون الأمن القومي لجميع دول العالم دون استثناء عبر شركاتهم العابرة للقارات وتكتلاتهم الاقتصادية، ويتلاعبون بالقرار السياسي لهذه الدول ويبتزونها متى شاؤوا؟! لقد حان الوقت أن يعرف الأمريكيون قواعد اللعبة جيدا، فهل سيفهمون ذلك، أم سنرى الولايات المتحدة الأمريكية بعد عشرين سنة تقف على رأس الدول المطالبة بالحد من الحريات التجارية والاستثمارات، عندما تصبح هي ضحيّة لها، وسلطتها السياسية رهنا بأصحاب هذه الشركات من الجنسية الصينية أو الأوروبية أو حتى الإسلامية؟!

بقلم علي حسين باكير

نقلا عن مجلة العصر

بتصرف يسير

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

لسنا ضد التقدم العلمي ولكن...

د. ليلى بيومي

تندفع معامل الأبحاث والشركات الكيمائية والدوائية الكبرى في الغرب في تيار المعالجات الوراثية لأنواع من النباتات ولبعض الحيوانات من خلال تعديل الصفات الوراثية لتلك النباتات والحيوانات، بهدف معلن هو زيادة الإنتاجية أو مقاومة الأمراض أو القدرة على الزراعة في بيئات صعبة، تقل فيها المياه أو تزيد فيها ملوحة التربة أو تنقص فيها مواد غذائية معينة.

وتسير هذه العملية بسرعة كبيرة في أمريكا وقد انتقلت إلى أوروبا رغم التحذيرات والرفض من جانب دوائر أوروبية شعبية كثيرة... ووجه الخطورة -كما حذر كثير من العلماء في هذه الظاهرة- هو أن التعديل يسير دون دراسة الآثار القريبة والبعيدة المدى على صحة المستهلكين، وأيضا على نوعية النباتات والبذور والحيوانات التي يجري تعديل خصائصها الوراثية.

وقد أشار بعض العلماء إلى أن كثرة وشمول إجراء التعديلات الوراثية على بذور النباتات مثلا سوف يؤدي إلى اختفاء النباتات والبذور الأصلية، ونشوء أنواع جديدة لا يعرف أحد مدى صلاحيتها في المستقبل، بحيث يمكن أن يطرأ وضع تجد فيه البشرية نفسها أمام نباتات معدلة وراثيا وغير صالحة مع افتقاد البذور الطبيعية الأصلية، التي لن يكون لها وجود، وفي نفس الوقت فإن البذور المعدلة وراثيا قد لا تأتى بالنتائج المطلوبة منها في المستقبل القريب، بحيث تصبح مخيبة للآمال بعد اتفاق الكثير عليها ولكن لا يمكن الرجوع عنها إلى البذور والنباتات الأصلية.

وقد نشطت في أوروبا دوائر كثيرة تطالب بمنع استخدام المنتجات المعدلة وراثيا ومنع استهلاكها.. لكن المشكلة أن هذه المنتجات بكافة أنواعها تصل إلى دول العالم الثالث، والدول الإسلامية في مقدمتها، حيث لا توجد هيئات مدنية أو سياسية لديها القدرة والنفوذ على مقاومة هيمنة الدول الكبرى وشركاتها العملاقة، وهي المنتفعة من أرباح هذه الظاهرة، وهذا يعنى أن الخطر الذي سوف ينتج عن المنتجات المعدلة وراثيا سوف يصيب الدول الفقيرة، بينما سوف تنجو منه الدول الأوروبية التي تملك قوى سياسية تستطيع الوقوف في وجه أمريكا أو الشركات الكبرى.

ومن المتفق عليه أن أهم الأضرار المحتملة لمنتجات الهندسة الوراثية تتلخص في أضرار مباشرة على سلامة البيئة ومكوناتها البيولوجية وهي الأخطر، وأضرار مباشرة على صحة الإنسان وهي التي استدعت الاهتمام الجماهيري، وأضرار تتصل بتخلخل التركيبة الاقتصادية والاجتماعية للدول.

مخاطر الهندسة الوراثية

وللتأكيد على ذلك فإن منظمة دولية مثل منظمة الأغذية والزراعة [الفاو] لديها نشاط مكثف ومكاتب إقليمية في الدول العربية يكرس ويتابع تطبيق ما يسمى بالتغذية البيولوجية الزراعية والهندسة الوراثية في المجالين النباتي والحيواني في دول شمال أفريقيا وما يسمونه بدول الشرق الأوسط، والمعروف أن دول هذه المناطق لديها أرض خصبة وتتمتع بتاريخ زراعي عريق في حين أن مناطق التصحر والجفاف في قلب القارة الأفريقية وأطرافها قد تم تجاهلها تماما، وسكانها مهددون بالفناء بعد المجاعات المستمرة التي يتعرضون لها.

وإذا كان هناك اهتمام غربي بالإنسان كما يدَّعون في مجال التنمية الزراعية ومعالجة التصحر فقد كان الأولى تلك الشعوب التي تتعرض لمجاعات قاتلة قضت على النبات والحيوان والإنسان.

وعلى جانب آخر هناك مخاطر عديدة تطل علينا من جراء هذه التقنيات ومنها كما أشار بعض القائمين في تلك الدول إلى ضرورة إنشاء بنك دولي للبذور المعدلة وراثيا، وبالتالي تتحكم الدول والشركات الكبرى، وهي ذات طابع استعماري ليس فقط في الإنتاج الزراعي والحيواني بل في كل اقتصاديات الدول العربية والإسلامية، هذا إلى جانب أن غموض تلك التعديلات أثار مخاوف صحية عديدة كما أشار بعض العلماء إلى أن فتح الباب على مصراعيه لتعديل السلالات الطبيعية المتوائمة مع بيئاتها ومع الإنسان بشكل نفعي ولتحقيق نمو في وقت قصير يؤدي بالضرورة إلى حدوث خلل جيني يؤثر على طبيعة الحيوان والطير والنبات ومن ثم يؤثر هذا على صحة الإنسان على المدى القريب والبعيد وسيؤدي إلى نشوء العديد من الأمراض التي قد يصعب الكشف عنها أو تشخيصها، هذا إلى جانب أن كثير من الميكروبات والفيروسات ستتحور لتصبح أكثر غموضا وشراسة.

ونحن هنا لسنا ضد التقدم العلمي ولسنا ضد الاستفادة من العلوم والتقنيات الهندسية والوراثية الحديثة ولكن يجب أن يتم ذلك في إطار أخلاقي وفي إطار منظومة تتوافق مع البيئة .. وأن يكون التقدم العلمي من داخل بلادنا العربية والإسلامية وفي إطار حضاري وأخلاقي، ومن خلال عقول وابتكارات علمائنا.. لأنه من الخطأ أن نظن أنه بالإمكان شراء واستخدام التقنيات المتطورة دون الوقوع في المخاطر والمحاذير، والتي أقلها أن نستخدم كحقول تجارب، أو أن تلوث أرضنا وسماؤنا وهواؤنا، وهذا التلوث البيئي مسئوليتنا أمام الله تعالى..

الإسلام وسلامة البيئة

ونحن هنا لسنا ضد التقدم العلمي ولسنا ضد الاستفادة من العلوم والتقنيات الهندسية والوراثية الحديثة ولكن يجب أن يتم ذلك في إطار أخلاقي وفي إطار منظومة تتوافق مع البيئة .. وأن يكون التقدم العلمي من داخل بلادنا العربية والإسلامية وفي إطار حضاري وأخلاقي، ومن خلال عقول وابتكارات علمائنا.. لأنه من الخطأ أن نظن أنه بالإمكان شراء واستخدام التقنيات المتطورة دون الوقوع في المخاطر والمحاذير، والتي أقلها أن نستخدم كحقول تجارب، أو أن تلوث أرضنا وسماؤنا وهواؤنا، وهذا التلوث البيئي مسئوليتنا أمام الله تعالى، فمنذ بداية الخلق والمولى سبحانه وتعالى يأمرنا بأن نحافظ على تلك الأرض وقد نادى سبحانه ملائكته: "إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك"، وكان رد الله سبحانه وتعالى على الملائكة: "إني أعلم ما لا تعلمون"، ليحق للإنسان أن يكون خليفة في الأرض ويصبح مسئولا عن عمارتها وإصلاحها وأن يستطيع أن يزرع ويصنع ويقيم الحياة عليها من خلال ضوابط تحكم استمراريتها، ذلك لأن الله جعل للإنسان علاقة ودية ومتشابكة مع كافة مخلوقاته فالحيوان خلق ليخدم الإنسان، والإنسان يرعى الحيوان والنباتات، وكل ذلك في إطار عدم حدوث ضرر للبيئة وما فيها، ولذا كانت الآية الكريمة زولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها"، أما الآية الكريمة "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون"، فهي إشارات ومناهج حياتية تمنع الإنسان من الاعتداء على البيئة وإلحاق الفساد بها لكسب منفعة وقتية، حتى لو كانت تلك المنفعة تؤدي إلى ضرر لاحق على المدى القريب والبعيد كما يؤكد العلماء في ظل تلك الهندسة الوراثية والهرمونات والمبيدات والكيماويات والثورات والحروب البيولوجية، فإن القاعدة الشرعية أرست مبدأ أخلاقياً عظيما وهو أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

مضار مخالفة العلم للشرائع والأديان

إن مخاطر المخالفات العلمية للقواعد الشرعية أورثتنا العديد من الأمراض والمشكلات الصحية التي احتار معها الطب والدواء، وهي متعددة، ومنها:

أولا: ظهور ما يعرف بجنون البقر، والحمى القلاعية.

ثانيا: التشوهات الخلقية التي تعرضت لها بعض الحيوانات في المعامل.

ثالثا: الخسائر المالية الضخمة التي ترتبت على هدر معظم الحيوانات المصابة بالأمراض الوراثية.

رابعا: ظهور بعض الأمراض غير المعروفة بسبب الأعلاف الحيوانية والأمصال التي تعطى للحيوانات بهدف زيادة وزنها أو حجمها أو سرعة تسويقها وما يترتب على ذلك من مضار بصحة الإنسان.

هذا وإذا كان القرآن هو آيات الله المسطورة، فإن الكون هو آيات الله المنظورة، فلا مانع على الإطلاق من إجراء التجارب على جميع الحيوانات والمضي قدما في جميع التجارب التي تحقق الخير للإنسانية شرط الالتزام بالضوابط الشرعية لأن العلم المنفلت من الشرعية يفتقر إلى الأخلاق وقد يضر أكثر مما يفيد.

لذا لا مفر من وضع الأطر والضوابط الشرعية والقانونية لحماية الإنسان من شرور أخيه الإنسان، وحتى لا تتحول التجارب العلمية إلى قنبلة نووية تدمر حياة الإنسان.

(نقلا عن مفكرة الإسلام)

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

أبو وئام رشيد الإدريسي

الحكم الصواب في بدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب

كل تقسيم لا يشهد له الكتاب والسنة وأصول الشرع بالاعتبار فهو فاسد يجب إلغاؤه ومن ذلك تقسيم بعضهم الدين إلى قشر ولباب.

وهو تقسيم باطل من وجوه كثيرة من أهمها:

1- أنه خلاف نصوص القرءان والسنة وعمل سلف الأمة.

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً"، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول الله تعالى آمرا عباده المؤمنين به والمصدقين أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك.

قال مجاهد: اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر.

وقال ابن عباس: ولا تدعوا منها شيئا..".

وفي الحديث عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع، ونهانا عن سبع، أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وابرار القسم ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإفشاء السلام ..."متفق عليه.

فانظر كيف جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تشميت العاطس ونصر المظلوم في حديث واحد دون هذا التفريق المبتدع ولا هذا التقسيم المصطنع؟!

ومن أروع ما صح عن السلف الصالح في هذا الباب موقف عمر رضي الله عنه وهو يعالج سكرات الموت عندما طعنه العلج أبو لؤلؤة.

"..وجاء الناس فجعلوا يثنون عليه وجاء شاب فقال: ابشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك: من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقِدَمٍ في الإسلام ما قد علمت ثم ولِّيت فعدلت، ثم شهادة.

قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي.

فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض.

قال: ردُّوا علي الغلام!

قال: "يا ابن أخي: ارفع ثوبك فإنه أبقى (وفي رواية: أنقى) لثوبك وأتقى لربك" أخرجه البخاري.

2- قال الشيخ محمد بن إسماعيل حفظه الله: "**وقسمة الدين إلى قشر ولباب تؤثر في قلوب العوام أسوأ تأثير، وتورثهم الاستخفاف بالأحكام الظاهرة، وينتج عنها الإخلال بهذه الأمور التي سميت قشورا، فلا تلتفت قلوبهم إليها، فتخلو من أضعف الإيمان ألا وهو الانكار القلبي الذي هو فرض عين على كل مسلم تجاه المنكرات**"اهـ تبصير أولي الألباب ببدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب(ق:123-122).

قال العز بن عبد السلام رحمه الله (المتوفى سنة660): "**لا يجوز التعبير عن الشريعة بأنها قشرا مع كثرة ما فيها من المنافع والخيور: وكيف يكون الأمر بالطاعة والإيمان قشرا؟! وأن العلم الملقب بعلم الحقيقة جزء، ومن أجزاء علم الشريعة، ولا يطلق مثل هذه الألقاب إلا غبي شقي قليل الأدب.**

ولو قيل لأحدهم: إن كلام شيخك قشور لأنكر ذلك غاية الانكار، ويطلق لفظ القشور على الشريعة! وليست الشريعة إلا كتاب الله وسنة رسوله، فيعزر هذا الجاهل تعزيرا يليق بمثل هذا الذنب"اهـ الفتاوي له رحمه الله 71-72.

وقال الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله (المتوفى سنة756) جوابا على من وصف المنكر لبعض المحدثات بأنه "من أهل القشور": "وقولهم: "من أهل القشور"، إن أراد به ما الفقهاء عليه من العلم ومعرفة الأحكام، فليس من القشور، بل من اللب، ومن قال عليه: "إنه من القشور" استحق الأدب والشريعة كلها لباب"اهـ فتوى ملحقة بـ "الكلام على مسألة السماع" لابن قيم الجوزية رحمه الله 45/2.

فالواجب -إذن- العمل بجميع شرائع الإسلام وأركانه، وفرائضه، وسننه لمن أراد الفضل، ولا يجوز أن نترك العمل بهذه لأنها جزئية، ونعمل بهذه لأنها كلية!!..

فإن: "الجزئيات معتبرة في إقامة الكلي، أن لا يتخلف الكلي فتتخلف مصلحة المقصودة بالتشريع"اهـ الموافقات61/2.

ويتأكد هذا الأمر إذا علمنا أن العمل بشرائع الإسلام منوط بالاستطاعة كما قال تعالى: "فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ" وليس منوطا بالكليات والجزئيات.

حكم الشريعة الغراء في تتبع زلات العلماء

مما لا شك فيه أن العلماء كغيرهم من الناس، هم عرضة للخطأ والغفلة والسهو، فتصدر منهم الزلات، وتقع منهم الكبوات فإن "**درك الصواب في جميع أعيان الأحكام إما متعذر أو متعسر**"الفتاوي252/20.

قال الصنعاني رحمه الله في معرض ذكره لزلة وقعت من بعض العلماء: "فهي من النوادر التي تقع لأفراد العلماء مثل مالك والشافعي وغيرهما ما أحد منهم إلا له نادرة ينبغي أن تغمر في جنب فضله وتجتنب" سبل السلام 37/1.

ومن الأبواب التي فتحها الشيطان على مصراعيها -في هذا الصدد- للتلبيس على العباد باب تتبع رخص الفقهاء (والمراد بالرخصة هنا: أهون أقوال العلماء في مسائل الخلاف، وليست الرخصة المشروعة كقصر الصلاة في السفر ونحو ذلك من الرخص الشرعية) وزلاتهم، وتصيد الشاذ[1] من الأحكام، فخدع بذلك الكثيرين من جهلة المسلمين فانتهكت المحرمات، وتركت الواجبات تعلقا بقول زيف وتمسكا برخصة كالطيف.!!

مفاسد تتبع الرخص والشاذ من الأقوال

استعرض الشاطبي رحمه الله جملة من هذه المفاسد فقال: "كالانسلاخ من الدين بترك اتباع الدليل إلى اتباع الخلاف، وكالاستهانة بالدين إذ يصير بهذا الاعتبار سيَّالا لا ينضبط، وكترك ما هو معلوم إلى ما ليس بمعلوم، وكانخرام قانون السياسة الشرعية بترك الانضباط إلى أمر معروف، فتجور القضاة في أحكامها، فيفتي القاضي لمن يحب بالرخصة ولمن لا بالتشديد، فتسود الفوضى والمظالم، وكإفضائه إلى القول بتلفيق المذاهب على وجه يخرق الإجماع ..."الموافقات147/4-148.

الزجر عن تتبع الرخص والأخذ بالشاذ من الأقوال

الإشاعة لغثاثة الرخص والتجسيد للآراء الشاذة وتربية مولودهما "التلفيق" بمعنى جمع الرخص والشواذ: منابذة للاعتقاد السليم، بل هي من صنع العداء، ومحتضنها يكون بأسا على المسلمين وبلاء.

فلله كم تربع على وكر هذه الفتنة من مارد، وأبرزها باسم الشريعة من متحايل على شبه يبديها أو يبتديها، والقلوب ضعيفة والشبه خطافة.

ولذا اتفق أهل العلم على تحريم تلقط الرخص وتتبع الشواذ من الأقوال وإفتاء الناس بها.

قال سليمان التيمي رحمه الله: "**لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله**". قال الحافظ ابن عبد البر المالكي رحمه الله معقبا:"**هذا إجماع لا أعلم فيه خلافا**" الجامع 91/2-92.

وممن حكى الاجماع على ذلك الإمام ابن حزم رحمه الله كما نقل عنه ذلك الشاطبي رحمه الله في الموافقات134/4.

وقال إسماعيل بن إسحاق القاضي المالكي رحمه الله: "دخلت يوما على المعتضد فدفع إلي كتابا فقرأته، فإذا فيه الرخص من زلل العلماء قد جمعها له بعض الناس فقلت: يا أمير المؤمنين إنما جمع هذا زنديق فقال: كيف؟ فقلت: إن من أباح المتعة لم يبح الغناء، ومن أباح الغناء لم يبح إضافته إلى آلات اللهو، ومن جمع زلل العلماء ثم أخذ بها ذهب دينه، فأمر بتحريق ذلك الكتاب".البداية و النهاية لابن كثير-رحمه الله-(87/11).

شبهة والجواب عليها

يحتج متتبعوا الرخص بكلام حق لكن يراد به باطل، فهم يبررون مسلكهم هذا بأن الدين يسر وبأن النبي عليه الصلاة والسلام بعث بالحنيفية السمحة مستدلين بقوله تعالى: "يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ" وقوله عليه الصلاة والسلام: "بعثت بالحنيفية السمحة" حديث حسن.

ولا يخفى ما في هذا الاستدلال من المعاظلة والمغالطة، وخلط الحق بالباطل.

قال ابن حزم رحمه الله رادا على من استدل بالآية: "فإن احتج بقوله: "يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ" فقد علمنا أن كل ما ألزم الله تعالى به فهو يُسْر بقوله تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)"الأحكام 869.

أما الاستدلال بالحديث فقد أجاب عنه الإمام الشاطبي رحمه الله حيث قال: "وأنت تعلم.. ما في هذا الكلام لأن الحنيفية السمحة إنما أتى السماح فيها مقيدا بما هو جار على أصولها، وليس تتبع الرخص ولا اختيار الأقوال بالتشهي ثابت، فما قاله عين الدعوى! ثم نقول: تتبع الرخص ميل مع أهواء النفوس، والشرع جاء بالنهي عن اتباع الهوى فهذا مضاد لذلك الأصل المتفق عليه، ومضاد أيضا لقوله تعالى: "فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ" فلا يصح أن يُردَّ إلى أهواء النفوس، وإنما يرد إلى الشريعة، وهي تبين الراجح من القولين فيجب اتباعه" الموافقات145/4.

1- قال ابن حزم رحمه الله: "إن حد الشذوذ هو مخالفة الحق، فكل من خالف الصواب في مسألة ما فهو فيها شاذ..." انظر تتمة كلامه هذا فهو نفيس في كتابه الأحكام 661/5-662.

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

توقير الصحابة رضي الله عنهم وحبهم

(الحلقة الأولى)

طعون أهل الأهواء في صحابة النبي عليه الصلاة والسلام تخرج من مستنقع واحد ؛ ومن حفرة واحدة يجمع بينها السوء الناقع ؛ وتفرقها الأسباب والدوافع، طعون من أُناس لا خلاق لهم (من علمانيين ومبتدعين) مع أن الصحابة رضوان الله عليهم عدلهم الله وزكاهم رسول الله عليه الصلاة والسلام وهم الواسطة والصلة التي تربطنا بنبينا عليه الصلاة والسلام ؛ فمن قدح فيهم فهو يقطع هذه الصلة وهذه الواسطة وكفى بذلك ضلالا وخذلانا عياذا بالله ولذلك ارتأينا الحديث عن مكانتهم وفضلهم من خلال حلقات متتالية إن شاء الله تعالى.

من علامات توقير النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل محبته توقير أصحابه رضي الله عنهم وحبهم انظر الشفا 43/2.

قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: "لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره" الشفا 47/2.

وقال الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة: "..وحبهم (أي: الصحابة) دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان".

كيف لا؟ وفضلهم عظيم، ومنزلتهم كبيرة.

فهم قوم اصطفاهم الله تعالى لصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: **"قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى"**.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم" إعلام الموقعين 131/4.

وهم أصحاب الصدق في سائر مقامات الدين كما قال تعالى: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ"**.

قال ابن القيم رحمه الله: "قال غير واحد من السلف هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ثم قال: ولا ريب أنهم أئمة الصادقين" إعلام الموقعين 132/4.

والصحابة رضوان الله عليهم هم أمان لهذه الأمة كما قال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح الإمام مسلم: "أصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون".

فهذه شهادة منه صلى الله عليه وسلم أن أصحابه أمان لأمته من ظهور البدع واختلاف القلوب والفتن المضلة ونحو ذلك. انظر شرح مسلم للنووي رحمه الله 831/6.

ومما يدل على فضلهم ورفيع مكانتهم خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى البقيع يدعو ويستغفر لمن مات منهم كما في الحديث الصحيح.

قال الإمام مالك رحمه الله: "هذا النبي مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك أمره الله وأمر النبي بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم" الشفا 46/2-47.

وقد كان السلف الصالح رحمهم الله يشبهون الصحابة رضوان الله عليهم بالملح في الطعام، فهم في الناس بمثابة الملح في الطعام.

قال الحسن البصري رحمه الله: "هيهات ذهب ملح القوم".

وقال كذلك: "هل يطيب الطعام إلا بالملح؟".

ثم قال كذلك: "فكيف بقوم ذهب ملحهم؟". انظر إعلام الموقعين 137/4.

مصلحة تأليف القلوب مقدمة على فعل مستحب أو سنة اجتهادية

تميز أهل السنة السّنِية بأصول عظيمة ودعائم متينة من ذلك: قاعدة تأليف القلوب واجتماع الكلمة واصلاح ذات البين ولذلك كان من ألقابهم: "أهل الجماعة".

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "تعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين فإن الله تعالى يقول: "فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ" ويقول: "وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ" ويقول: "وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"، وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة" الفتاوي 512/8.

وقد فرعوا عن هذا الأصل العظيم مشروعية ترك مستحب أو سنة وقع الخلاف في سنيتها حفاظا على الجماعة، ومراعاة لمصلحة تأليف القلوب وقد أصل هذا الأمر شيخ الإسلام حيث قال رحمه الله: **"الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين، والفرع المتنازع فيه من الفروع الخفية، فكيف يقدح في الأصل بحفظ الفرع؟"** الفتاوي 254/22.

وقال كذلك رحمه الله: "ويستجب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات، لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا، كما ترك النبي صلى الله عليه وسلم تغيير بناء البيت لما في إبقائه من تأليف القلوب" الفتاوى 407/22.

وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله: "وقد ينتقل (أي النبي عليه الصلاة والسلام) عن الأفضل إلى المفضول لما فيه من الموافقة وتأليف القلوب كما قال لعائشة رضي الله عنها (لو لا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة وجعلت لها بابين) فهذا ترك ما هو الأولى لأجل الموافقة والتأليف فصار هذا هو الأولى في هذه الحال" زاد المعاد 131/2.

ولذلك كانت الحكمة تقتضي من العلماء والفهماء تجنب فعل بعض المستحبات في مواطن معينة إذا كان الأمر يسبب مفسدة كبيرة كل ذلك مراعاة للاتفاق وحفاظا على الصف من الشقاق.

فها هو الإمام أبو بكر بن العربي المعافري رحمه الله يحكي عن نفسه أنه كان يتجنب قراءة سورة الانشقاق إذا أَمَّ الناس لأن الناس ينكرون وجود سجدة تلاوة عند الآية(21) يقول: "لما أممّت الناس تركت قراءتها لأني إن سجدت أنكروه وإن تركتها كان تقصيرا مني فاجتنبتها إلا إذا صليت وحدي" أحكام القرءان 369/4.

ويذكر القرطبي موقف ابن العربي المعافري رحمهما الله فيعقب عليه بحادثة جرت مع شيخه الطرطوشي رحمه الله الذي جاءه زائرا إلى مسجده وصلى ركعتين والناس لا يعرفون من هو فرأوه يرفع يديه عند الركوع وعند الرفع منه فتهامس الناس فيما بينهم لقتله ورميه في البحر وأخذ القرطبي يهدؤهم ويبين لهم أنها سنة وقد أخذ بها بعض أئمة المذاهب ثم أخذ شيخه جانبا وقال له: "لا يحل لك هذا، فإنك بين قوم إن قمت بها قاموا عليك أو ربما ذهب دمك" انظر الجامع لأحكام القرءان 185/19.

أصول أربعة واجب على كل مسلم معرفتها

اعلم يا رعاك الله أنه يجب على المكلفين إيجابا عينيا تعلم أربع مسائل:

الأولى: العلم، الثانية: العمل به، الثالثة: الدعوة إليه، والرابعة: الصبر على الأذى فيه.

وقد حكى الاجماع على إيجاب تعلم هذه الأمور غير واحد من العلماء منهم شيخ الاسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى.

أما العلم: فالمراد به هنا العلم الشرعي، والمقصود به ما كان تعلمه فرض عين، وهو كل علم يحتاج إليه المكلف في أمر دينه، كأصول الإيمان وما يجب اجتنابه من المحرمات وما يحتاج إليه في المعاملات ونحو ذلك مما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب عليه العلم به. انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر رحمه الله 31.

قال الإمام أحمد رحمه الله: "يجب أن يطلب من العلم (أي: المكلف) ما يقوم به دينه، قيل له: مثل أي شيء؟ قال: الذي لا يسعه جهله: صلاته، صيامه، ونحو ذلك" الفروع لابن مفلح رحمه الله 225/1.

أما العمل بالعلم: فقد قال عليه الصلاة والسلام: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ومنها: وعن علمه ماذا عمل فيه" الصحيحة 946.

فعلى المسلم أن يدرك أهمية العمل بالعلم وأن الإنسان الذي لا يعمل بعلمه سيكون علمه حجة عليه، وهذا لا يخص العلماء فحسب كما يظن بعض الناس بل كل من علم مسألة من المسائل المفروضة وجب عليه شرعا العمل بها.

قال ابن الجوزي رحمه الله: "والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذات الدنيا، وخيرات الآخرة فقدم مفلسا مع قوة الحجة عليه" صيد الخاطر 144.

أما الدعوة: فهي الدعوة إلى توحيد الله وطاعته، وهذه وظيفة الرسل وأتباعهم كما قال تعالى: **"قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي"** فالدعوة إلى الله أمرها عظيم وثوابها جزيل كما قال عليه الصلاة والسلام: **"فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمُرِ النعم"** البخاري.

والدعوة لا تؤتي ثمارها وتكون وسيلة إصلاح وبناء إلا إذا كانت وفق المنهج الرباني الذي كشف عنه ربنا سبحانه في قوله: **"ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"**.

قال الإمام مالك رحمه الله لتلميذه ابن القاسم رحمه الله: "اتق الله وانشر ما سمعت" انظر ترتيب المدارك 322/3.

أما الصبر على الأذى فيه: أي الصبر على الأذى في الدعوة إلى الله بأن يكون الداعية صابرا على ما يناله من أذيَّة الناس لأن أذيَّة الدعاة من طبيعة البشرإلا من هدى الله كما قال تعالى: **"وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا"**.

قال مالك بن دينار رحمه الله: **"ما من أعمال البر شيء إلا ودونه عُقَيْبَة فإن صبر صاحبها أفضت به إلى روح، وإن جزع رجع"** السير 363/5.

قال بعضهم:

نقول واجب على العباد ... تعلم القواعد العماد
أولها العلم كذا العباره ... فتعرف الله بلا نكاره
وتعرفن نبيك الخليلا ... والدين بالدليل أيضا قيلا
وثاني القواعد المهمة ... أن تعلمن به تمام الهمة
وثالث فلتحرصوا عليه ... هداية ودعوة إليه
والرابع الصبر على كل أذى ... ومن أبى فليجتني مُرَّ القذى

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

لماذا اخترنا الملف؟

نحن الآن لسنا مطالبين برسم صورة جديدة للمرأة، فهذا لا يجوز، وكل ما هو مطلوب منا أن نزيل الغبار عن الصورة الأصلية القديمة وإعادتها جديدة كما جاءت في الكتاب والسنة وهذا هو معنى التجديد في الإسلام، إذ معناه الرجوع إلى الإسلام كما كان في ابتدائه، أو قل كشف الغطاء عن القديم الأصيل، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، عليكم بالأمر العتيق) وصدق الإمام مالك رحمه الله القائل: (**لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها**).

إن صورة المرأة في الإسلام صورة ناصعة لا نظير لها وإنه لمن المحزن حقا أن معظم المسلمين يجهلون تفاصيل هذه الصورة، مع أنهم يرددون صباح مساء القول بتكريم الإسلام للمرأة وإنصافه لها ورفعته لشأنها، لكنهم لا يعلمون تفاصيل هذه الصورة من جهة، وهم يتصرفون بغير ما يريده الإسلام من جهة أخرى؛ الشيء الذي أضر بالمسلمة وجعلها تعاني من أوضاع سيئة، وترتبت على ذلك مفاسد منها: انتشار الحركة النسوية المعادية للإسلام، المحادة لتشريعاته جهلا وعدوانا، وقد جندت نفسها لتطبيق القناعات الغربية، التي تتلى عليها بكرة وأصيلا، وقطع الطريق على من ينادي بتطبيق الشريعة!

..من هنا جاء هذا الملف، ليلقي أضواء على هذا الموضوع في خضم الحديث المتزايد عن قضية المرأة، والتي أضحت من أهم وأخطر جيوش العولمة الاجتماعية الغربية الزاحفة لاقتحام حصون المجتمعات الإسلامية وغيرها، رافعة رايات: (إنقاذ المرأة) و(تمتيعها بحقوقها) و(رفع الظلم عنها والتمييز ضدها)...وما الأمر في حقيقته إلا تكريس للهيمنة الأمريكية، والتي يريد أصحابها فرض وجهة نظرهم على شعوب العالم، وإلزامهم بقناعاتهم، ولو كانت متنافية مع مبادئهم وقيمهم!

وغير خاف أن هذا الاهتمام ليس غيرة على المرأة العربية والمسلمة بقدر ما هو تأمين للمصالح، وتحقيق للمطامح؛ وإلا فأين انتصارهم للمرأة البوسنية والشيشانية والفلسطينية والعراقية ...، ولو أرادوا تخليصها لفعلوا، ولكن لا مغنم لهم في ذلك، وإنما الغنيمة في تغريب المسلمة وفصلها عن دينها.

منزلة المرأة في الإسلام

الملف من إعداد: حمّاد القباج

يقرر الإسلام أن المرأة خلقت لعبادة الله تعالى كالرجل قال سبحانه: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"(1)، والإنسان نوع يشمل الجنسين الذكر والأنثى، وتثاب المرأة على تحقيق هذه العبادة كما يثاب الرجل قال سبحانه: "فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ"(2)، قال العلامة السعدي: "فالجميعَ سيلقون ثواب أعمالهم كاملا موفرا أي كلهم على حد سواء في الثواب والعقاب"(3).

وقال الله عز وجل: "مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ"(4) وقال تعالى: "وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً"(5).

قال الإمام ابن تيمية: "والنساء يشاركن الرجال في سبب العمل فيشاركونهم في ثوابه"(6).

والمرأة شريكة الرجل في التكريم الإلهي للإنسان قال سبحانه: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً".

فهي مساوية للرجل في الإنسانية وعلّة الإيجاد و المصير والجزاء .

والإسلام إذ أناط بالمرأة مسؤولية القيام بالتكاليف الشرعية ورتب على ذلك الثواب والعقاب، فإنه جعل من تلك المسؤولية ما هو راجع إلى تحقيق مصالح الأمة، وهكذا فإن المرأة شريكة للرجل في مهمة ترقية النوع البشري وإصلاح المجتمع وتنميته.

والمرأة في الأحكام كالرجل لقوله صلى الله عليه وسلم: **«إن النساء شقائق الرجال»**(7).

وتختص عنه بأحكام، ويختص هو عنها بأخرى، بحكم ما بينهما من الفروق المختلفة، فالحجاب مثلا واجب على المرأة دون الرجل، وفي هذه المسألة بيان نفرده لاحقا بمقال خاص إن شاء الله عنوانه: "المساواة في ضوء القرآن والسنة"، والجهاد واجب على الرجل دون المرأة.

وأكرم الإسلام المرأة بنتا وحثّ على العناية بها، وفي ذلك نصوص كثيرة منها:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجابا من النار يوم القيامة»**(8).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من عال ثلاثا من بنات يكفيهن ويرحمهن ويرفق بهن فهو في الجنة»**(9).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«ما من مسلم تدركه بنتان فيحسن صُحبتهما إلا أدخلتاه الجنة»**(10).

وعن ابن عباس أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«سووا بين أولادكم ولو كنت مفضِّلا أحدا لفضلت النساء»**(11).

واعتنى الإسلام بالمرأة زوجة وأمر بحسن معاشرتها، قال سبحانه: "وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ"(12).

قال الإمام ابن كثير: "أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيآتكم"(13).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«استوصوا بالنساء خيرا»**(14).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»**(15).

قال الإمام الشوكاني: "في ذلك تنبيه على أن أعلى الناس رتبة في الخير وأحقهم بالاتصاف به هو من كان خير الناس لأهله، فإن الأهل هم الأحقاء بالبشر وحسن الخلق والإحسان وجلب النفع ودفع الضرر، فإذاَ كان الرجل كذلك فهو خير الناس، وإذا كان على العكس من ذلك فهو في الجانب الآخر من الشر، وكثيرا ما يقع الناس في هذه الورطة فترى الرجل إذا لقي أهله كان أسوء الناس أخلاقا وأشجعهم نفسا وأقلهم خيرا، وإذا لقي غير الأهل من الأجانب لانت عريكته وانبسطت أخلاقه وجادت نفسه وكثر خيره، ولا شك أن من كان كذلك فهو معدوم التوفيق زائغ عن سواء الطريق نسأل الله السلامة". نيل الأوطار(210/6).

أما المرأة حين تكون أُمًّا فهي ملكة في أسرتها معظَّمة في مجتمعها، وكيف لا تكون كذلك من يعاملها أولادها على ضوء قول الله تعالى: "وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ" لقمان، وقوله عز وجل: "وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً"الأحقاف.

قال العلامة السعدي: "هذا من لطفه تعالى بعباده وشكره للوالدين أن وصى الأولاد وعهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم بالقول اللطيف والكلام اللين وبذل المال والنفقة والإحسان وغير ذلك من وجوه الإحسان" تيسير الكريم الرحمن.

وقال الله عز وجل: "وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً" الإسراء الآيتان 23 و24.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن حق الأم في هذا البر والإحسان أكبر من حق الأب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟

قال: «أمك.

قال: ثم من؟

قال: أمك.

قال: ثم من؟

قال: أمك،

قال: ثم من؟

قال: أبوك» رواه البخاري 5971.

فهنيئا للمرأة المسلمة بهذه المنزلة الرفيعة التي تبوأتها في دين الله سبحانه وتعالى.

1- الذاريات الآية 56
2- آل عمران الآية 195
3- تيسير الكريم الرحمان ص376.
4- النحل الآية 97
5- النساء الآية 124
6- مجموعة الفتاوى (255/6)
7- يأتي تخريجه.
8- أخرجه أحمد 154/4 وابن ماجة 3669 وصحح إسناده البوصري. وانظر السلسلة الصحيحة 590/1.
9- أخرجه أحمد 3033 وصححه الألباني في الصحيحة 6505
10- رواه ابن ماجه 3676 وصحح إسناده المنذري، وقال الألباني: حسن لغيره. أنظر الصحيحة 2776 .
11- قال الحافظ: "أخرجه سعيد بن منصور والبهيقي من طريقه وإسناده حسن" .فتح الباري 268/5
12- النساء الآية 19
13- تفسير القرآن العظيم 456/1
14- رواه البخاري 5184 ومسلم 1468
15- رواه الترمذي 3895 وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين (انظر الصحيحة 461-462). وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث زيادة لفظة وهي:"ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم". ولا تثبت هذه الزيادة بل هي مكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم: انظر شرح هذا في: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 845.

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

صور الوضعية السيئة للمرأة المغربية وموقف الإسلام منها

تعاني المرأة في مجتمعنا المغربي كغيره من المجتمعات الإسلامية من أوضاع متردية، وأحوال سيئة كثيرة، وبصفتنا مسلمين يجب علينا تكثيف الجهود لمحاربتها، امتثالا لأوامر ديننا الذي يرفضها ويدعو لتخليص النساء منها، وأول خطوة في هذا الطريق؛ تشخيص مفردات هذا الواقع تشخيصا متكاملا وواقعيا، وهو موضوع هذا المقال.

1- الأمية الدينية:

وأقصد بها الجهل بدين الله فالمرأة المسلمة للأسف الشديد جاهلة بدين الإسلام جهلا كبيرا، والأسباب في هذا كثيرة منها: تهميش مادة التربية الإسلامية في المدارس وعرضها عرضا هزيلا، ومنها تعطيل المساجد عن أداء وظيفتها التعليمية، ومنها تهميش العلم الشرعي في الإعلام، فلا يعرض عبره إلا في أوقات جد محدودة، وفي مناسبات معدودة... الشيء الذي يجعل ثقافة المرأة الدينية ضعيفة جدا وهذا رأس الشرور كلها، فعلى المرأة أن تتدارك هذا النقص وتُقبل على طلب العلم والتفقه في الدين فإن **«طلب العلم فريضة على كل مسلم»**[1] **«ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»**[2].

2- فساد التصور والجهل بالعقيدة الصحيحة:

إن صلاح القلب هو أساس كل خير وإنما يصلح إذا كان عامرا بالعقيدة الصحيحة خاليا من التصورات الفاسدة والعقائد الباطلة التي تخر به في أدنى الدركات وتجعله يقود الإنسان نحو شر مستطير كما هو حال كثير من النساء؛ فانظر أخي القارئ إلى هذا الجمع الغفير من النسوة اللواتي يعتقدن في الأموات ما لا ينبغي أن يُعتقد إلا في الله، الشيء الذي يدفعهن إلى صرف بعض العبادات إليهم مثل: الاستغاثة والذبح والنذر وسؤال الصحة والولد والرزق... وغير ذلك، وهذا كله شرك صريح يتنافى مع التوحيد الذي هو حق الله على العبيد قال الله سبحانه: "يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ، إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ"[3].

وانظر إلى الأخريات اللواتي يعتقدن أن الإسلام دين روحانيات وشعائر فقط لا دخل له في شؤون الإنسان الأخرى[4]؛ وهذا تصور فاسد يتنافى مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة من أن الإسلام دين تام تشمل أحكامه وتوجيهاته ما يتعلق بالأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بالإضافة إلى أمور الطهارة والصلاة والصيام ونحوها، وما يرجع إلى الأخلاق والسلوك، وغير ذلك مما هو منظم لعلاقة الإنسان بربه وعلاقته بالمخلوق، قال الله تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"[5]. وقال سبحانه: "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ"[6].

3- انحراف السلوك وفساد الأخلاق:

ونظرة واحدة إلى جماهير الشابات على أبواب الإعداديات والثانويات والجامعات، وإلى كثيرات غيرهن من النساء في الشوارع والإدارات ومرافق المجتمع المختلفة، تكفي للوقوف على هذه الصورة من صور الوضعية السيئة للمرأة. ولو قمنا بإحصاء لعدد فاسدات الأخلاق في مجتمعاتنا الإسلامية لوقفنا على نتائج سيئة جدا، وهذا لا يليق بأمة يقول نبيها صلى الله عليه وسلم: **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**[7]. ويقول صلى الله عليه وسلم: **«قل آمنت بالله ثم استقم»**[8].

4- ضعف الشخصية:

فهذا أيضا من الحال السيئة لكثير من النساء اللائي تجدهن مفتتنات بنمط الحياة عند الغربيين حريصات على تقليد الغربيات في كل شؤونهن؛ في السلوك وطريقة العيش واللغة واللباس ووسائل التجمل... وغير ذلك. وهذا يتنافى مع النصوص الكثيرة المصرحة بتحريم اتباع المسلم لغيره وتشبهه به؛ قال الله تعالى: "وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ"[9] وقال سبحانه: {ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون}[10] وقال عليه السلام: «من تزيا بهم وتشبه بهم فليس مني»[11]. قال الإمام ابن كثير: **"نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم"**[12].

وقال رحمه الله أيضا: "نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية"[13].

فالمرأة المسلمة لها شخصيتها التي تقوم على توجيهات الإسلام، ولها نمط حياة خاص بها تنظمه أحكام وآداب دينها، وسلوكها منضبط بتلك الأحكام والآداب، وهي مستغنية بثقافتها الأصيلة عن غيرها من الثقافات، فلتعتز بشخصيتها ولتحذر الدعوات الباطلة التي تظهر المرأة الغربية بصورة ترسخ في الأذهان أنها الأنموذج المثالي والكامل، فهذا تزيين وليس بحقيقة.

5- الفقر والحرمان من وسائل العيش الكريم:

هذه وضعية تعاني منها كثير من النساء، سيما ساكنات البوادي؛ حيث تقطع الواحدة منهن الأميال كي تحصل على قليل من الماء، وكثيرات منهن لا يجدن أياما كثيرة ما يقتتن به من الطعام المغذي، والمرأة التي لا تجد من الثياب ما تستتر به إلا ثيابا حقيرة بالية، والمرأة التي تراها تحت الشمس المحرقة تجني بعض الثمار في مقابل دراهم معدودة لا تسمن ولا تغني من جوع، أما النساء اللواتي يعانين من التدهور الصحي، والأخريات المحرومات من حقهن في التعليم فحدث عنهن ولا حرج...

وهكذا النساء العاملات اللواتي يستغل حاجتهن وفقرهن قساة القلوب من أرباب الأعمال، وأصحاب المصانع أبشع استغلال، والذي قد يصل إلى حد هتك عرض الواحدة منهن لتبقى في عملها المُهين، وأحسن أحوالها أن يعدها بالاستمرار بشرط عدم المطالبة بأي حق عمالي مشروع.

وانظر أيها القارئ إلى حال خادمات البيوت الظالم أهلها، ممن فررن من قساوة عيش البادية، أو كن ضحية طلاق متعسف، أو ابتلين بذلك النوع من الأزواج الذين يعجبهم أن تتولى المرأة أعباء النفقة، والتي قد تشمل علبة السجارة وشفرة الحلاقة!! وهن مع ذلك في مجتمع قصر مسؤولوه في واجبهم، بل لا يرون أنفسهم مسؤولين عن هذا الوضع، والمهم أن يسلموا هم منه!

فالفقر والحرمان وضع خطير... ولذلك كان نبينا صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من الفقر كما في سنن أبي داود أنه كان يقول ثلاثا حين يصبح وحين يمسي: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت»[14].

وقد جاء الإسلام بتشريعات تسهم في حل مشكلة الفقر في المجتمع، وتقي أهله -سيما النساء- من صور الحرمان المختلفة وأرشد الراعي والرعية إلى أحكام تحقق ذلك.

6- ومن الوضعية السيئة للنساء:

الضرر والأذى اللذان تعاني منهما كثيرات منهن بسبب كثير من أحكام القوانين الوضعية والتشريعات الفقهية المبنية على الاجتهادات المخطئة، وكذا بسبب كثير من الأعراف الشعبية الباطلة التي انتشرت في مجتمعاتنا الإسلامية والتي تهين وتحتقر المرأة وقد تولدت عنها ممارسات تعسفية مؤذية لها.

7- معاناة كثير من النساء من أزواجهن:

بسبب تصرفاتهم اللاأخلاقية الراجعة إلى افتقاد الناس للتربية الإسلامية الصحيحة والتي كان مفروضا أن يتلقوها من الوالدين في البيت، ومن المعلمين في المدارس، ومن الإعلام الهادف، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه، فقد أصبحت مناهجنا التعليمية وصار إعلامنا معطلين عن أداء هذه الرسالة، بل سخرا لتخريب مكارم الأخلاق وإفساد السلوك إلا ما شاء الله.

وهذا سينعكس لا محالة على الحياة الزوجية ويهدد كيانها، ويولد لنا هذا النوع من الأزواج الظلمة الذين لا يرقبون في زوجاتهم إلا ولا ذمة:

فمنهم المتكبرون الحاقدون الذين لا يرون في المرأة إلا الشر والدونية، وأنها ينبغي أن تعامل معاملة قاسية! ومنهم أزواج يطالبون زوجاتهم بحقوقهم ولا يؤدون إليهن حقوقهن، ويدخل في هذا الصنف أولئك الذين يتعسفون في ممارسة بعض حقوقهم، ومنهم أصحاب أطماع دنيئة يتزوج الواحد منهم المرأة لاغتصاب مالها، أو الاستفادة من جاهها، فإذا حقق مرامه قذف بها في سلة المهملات وبحث عن ضحية أخرى...ومنهم...ومنهم[15]..

أين هؤلاء من الآيات والأحاديث الآمرة بإكرام الزوجة وأداء حقها؟! ولكنه الجهل وفساد التربية.

ويدخل في هذا الباب النساء اللواتي يعانين من أزواج مدمني الخمور ومتناولي المخدرات، وأخريات يعانين من أزواج يحترفون الزنا ويخونون زوجاتهم... في سلسلة من الانحرافات التي تجر على المرأة من الضرر ما يندى له الجبين ويستحيي منه كل صاحب مروءة.

8- الأمية الهجائية وهزالة الرصيد المعرفي:

والحق يقال: عار على أمة كان أول ما أنزل على نبيها من كلام الله سبحانه: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"[16]، عار أن تكون نسبة الأمية فيها مرتفعة.

والنبي صلى الله عليه وسلم حارب الأمية في وسط المسلمين كما يدل عليه ما رواه الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أطلق سراح أسرى بدر في مقابل أن يعلم كل واحد منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة.

وروى أبو داود عن الشفاء رضي الله عنها قالت: "دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة، فقال لي ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة".

وحق المرأة في التعليم مكفول في الإسلام، بل مأمور به، والحاجة إليه ملحة في زمان التدفق المعلوماتي هذا، الذي انتشرت فيه وسائل الإعلام وتغلغلت في واقع الحياة بما تبثه من خير وشر؛ فينبغي عليها أن تكتسب المعارف التي تنير ذهنها وتبصرها بواقعها وشؤون حياتها.

9- سعي واجتهاد الذئاب البشرية قي انتهاك أعراض النساء:

بالله عليكم!! أليس من الاعتداء على المرأة أن يستغل الرجل عاطفتها القوية أو حاجتها المادية فيهتك عرضها ويقتل عفتها بعد أن يغريها بالمال والجمال والسيارة الفخمة ونحو ذلك، ويطمعها في الزواج والحياة الأسرية السعيدة! فيقضي وطره ثم يتركها لآخر يفعل بها الشيء نفسه؟ وهكذا تتقاذفها الذئاب، حتى إذا بدأت تفيق من أثر المخدر وتحن إلى الحياة الأسرية الطيبة والعلاقة الزوجية الطاهرة التي تقتضيها الفطرة، وجدت نفسها غارقة في بحار الفساد وأوحال الفجور.فلا يرغب فيها خاطب، ولا يهتم بأمرها أحد.

أليس هذا من الوضعية السيئة لكثير من النساء؟ بلى والله. وإن من حق المرأة المسلمة علينا أن نوعيها بخطورة الموقف ونحول دون المجرمين ومآربهم الدنيئة ومعلوم ما شرعه

←

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

الإسلام من عقوبة لمن قذف المرأة المسلمة، فكيف بمن يجتهد في هتك عرضها.

وصيانة العرض من الضروريات الخمس التي تكفلها الشريعة الإسلامية.

.. إلى غير ذلك من مظاهر معاناة المرأة.

فالإسلام لا يقرها بل يستنكرها ويأمر بإيجاد التربية والقانون الشرعي المساعدين على محوها من المجتمع.

وهذا مما يؤكد أن منزلة المرأة المسلمة في الإسلام منزلة عظيمة، وأنها في ظل أحكامه سالمة من كل ما يضرها في دينها ودنياها. فالحمد لله على نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة.

10- التهميش والإقصاء:

وهو صادر من قوم يحتقرون المرأة ويرون عدم أهليتها، وأنه لا يلتفت إلى رأيها ولا يؤبه بطرحها، فهي بالتالي لا تصلح لتستشار ولا لتؤتمن في كافة المجالات، وهذا تصور فاسد يحمله ذكور أنانيون متكبرون، وقد تراجعت مظاهره والممارسات الناتجة عنه كثيرا في العقود الأخيرة، لكن لا يزال معششا في بعض الأذهان.

وهذا يتنافى مع ما أكده الإسلام من إثبات أهلية المرأة وفق التفاصيل المبسوطة في مواطنها.

11- النسوانية المتطرفة:

وأبرز أسبابها الغلو في مواجهة بعض الصور السابقة، والرغبة في الثأر لاحتقار المرأة وأذيتها، وقد بلغ التشدد ببعض أفراد ومنظمات هذا التيار المتطرف إلى حد معاداة بعض أحكام الشريعة الإلاهية، بل وبعض مظاهر الخِلقة الربانية فعارضوا ربهم في خلقه وأمره!!

ومن إفرازات هذا الغلو المقيتة أولئك الماجنات اللواتي تفضل الواحدة منهن الزواج! بامرأة بدل رجل، وذلك لبغضهن الشديد للرجال!

والشرع والعقل يقتضيان من الحركات النسوية وكل العاملين من أجل حقوق المرأة من المسؤولين وغيرهم أن لا يدفعوا الظلم بالظلم والعدوان بالعدوان، ولكن ليسعوا لإطفاء النار بالماء، وليطالبوا بحقوق النساء المشروعة بحكمة واعتدال.

والإنصاف محمود، والعدل مطلوب، وعليهما تدل شريعة القرآن والسنة .

.. إلى غير ذلك من صور الوضعية السيئة لكثير من النساء.

1- حديث نبوي يأتي تخريجه
2- حديث نبوي شريف رواه البخاري(3116) ومسلم (1037) عن معاوية رضي الله عنه.
3- فاطر الآيتان 13 و14
4- وهو التصور الذي تحمله كثير من الداعيات إلى تمتيع المرأة بحقوقها!!
5- المائدة الآية 3
6- لقمان الآية 12
7- رواه أحمد (381/2) و البخاري في الأدب المفرد (273) والحاكم (613/2) وصححه ووافقه الذهبي. وهو من بلاغات الموطئ(1789) وانظر الصحيحة (45)
8- رواه أحمد 413/3 ومسلم 38
9- الرعد الآية 37
10- الجاثية الآية 18
11- رواه الطبراني في الأوسط وقال الحافظ ابن حجر: إسناده لا بأس به فتح الباري 123/10
12- تفسير القرآن العظيم (192/1)
13- تفسير القرآن العظيم(16/8)
14- رواه أحمد 365 وأبو داود 5090 والنسائي 1347
15- لو ألقينا نظرة على البيوت، أو حضرنا بعض جلسات المحاكم التي تبث في قضايا المشاكل الزوجية لرأينا من الطامات ما يتكدر له الخاطر ويحزن له القلب.فاللهم اصلح أحوالنا.
16- العلق الآية:1.

المتابعة الأممية لقضية المرأة

بدأ اهتمام هيئة الأمم المتحدة بالمرأة منذ عام ستة وأربعين وتسعمائة وألف (1946م/1365هـ)، حين أنشئت لجنة مركز المرأة، وهي هيئة رسمية دولية تتألف من خمس وأربعين دولة من الدول الأعضاء، تجتمع سنوياً بهدف عمل مسودات وتوصيات وتقارير خاصة بمكانة المرأة وتقويم تلك الأعمال.(1)

وقد أكد دستور هيئة الأمم المتحدة وميثاقها -الذي أبرم في "سان فرانسيسكو" بتاريخ (16/7/1364هـ-26/6/1945م)- على مبدأ عدم التفرقة بين الناس بسبب الجنس، فجعل للرجال والنساء حقوقاً متساوية، كما ورد في نصوص المادتين الأولى والثامنة.

وفي عام (1367هـ/1948م)، صدر **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان** شاملاً كافة حقوق الإنسان المدنية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، التي يجب أن يتمتع بها كل فرد رجلاً كان أو امرأة.

ففي المادة الثانية -مثلا- من هذا الإعلان، ما يلي : (لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات المذكورة في هذا الإعلان، دونما تمييز من أي نوع، ولا سيما التمييز بسبب العنصر، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأي سياسياً وغير سياسي، أو الأصل الوطني، أو الاجتماعي، أو الثروة، أو المولد، أو أي وضع آخر).(2)

وفي عام (1967م/1387هـ)، صدر **الإعلان الخاص بالقضاء على التمييز ضد المرأة**، الذي أقرته هيئة الأمم المتحدة بمقتضى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 2263 (د-22) وذلك في (7 نونبر) من نفس العام الموافق1387/8/5هـ، مع توصية ببذل أقصى الجهد لتنفيذ المبادئ الواردة فيه للحكومات والمنظمات غير الحكومية والأفراد، والذي ينص على حق المرأة الدستوري في التصويت، والمساواة مع الرجل أمام القانون، وعلى حقوقها في الزواج والتعليم وميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية مع الرجل سواء بسواء.(3)

وفي عام (1388هـ/1968م) عقد في طهران مؤتمر دولي لحقوق الإنسان تحت إشراف الأمم المتحدة، سمي (إعلان طهران 1968م)، الذي نص في بنده الخامس عشر على أنه: "يتحتم القضاء على التمييز الذي لا تزال المرأة ضحية له، في عديد من أنحاء العالم، إذ إن إبقاء المرأة في وضع دون وضع الرجل يناقض ميثاق الأمم المتحدة، كما يناقض أحكام الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والتنفيذ الكامل لإعلان القضاء على التمييز ضد المرأة ضروري لتقدم الإنسانية".

ثم بعد ذلك عقدت الأمم المتحدة أول مؤتمر عالمي خاص بالمرأة وهو مؤتمر مكسيكو لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم، وذلك في عام (1395هـ-1975م) في مدينة "مكسيكو سيتي" بالمكسيك، حيث حضرته مائة وثلاث وثلاثون دولة، وأكثر من ألف شخص، واعتبر ذلك العام [العام العالمي للمرأة]، واعتمد في ذلك المؤتمر أول خطة عالمية متعلقة بوضع المرأة على المستوى الحكومي وغير الحكومي في المجالات السياسية والاجتماعية والتدريب والعمل على حماية الأسرة.

كما اعتمدت خطة العمل العالمية لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم، للأعوام (1405-1396هـ/1985-1976م).

ويلاحظ في هذا الشأن أن هذا العقد الأممي للمرأة مستنبط من مواثيق الأمم المتحدة واتفاقياتها، التي سبقت الإشارة إليها.(4)

وفي عام (1399هـ-1979م) عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة مؤتمراً تحت شعار (القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة) وخرج المؤتمرون باتفاقية تتضمن ثلاثين مادة وردت في ستة أجزاء، للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة.

وجاءت هذه الاتفاقية لأول مرة بصيغة ملزمة قانونياً للدول التي توافق عليها، إما بتصديقها أو بالانضمام إليها. وقد بلغ عدد الدول التي انضمت إلى هذه الاتفاقية مائة وثلاثاً وثلاثين دولة، إلى ما قبل مؤتمر بكين عام (1416هـ-1995م).

وفي عام (1980م، 14-30 يونيو، 2-1400/9/18هـ) عقدت الأمم المتحدة **المؤتمر العالمي لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم** في "كوبنهاجن" بالدانمرك، -وهو المؤتمر الثاني الخاص بالمرأة-؛ وذلك لاستعراض وتقويم التقدم المحرز في تنفيذ توصيات المؤتمر العالمي الأول للسنة الدولية للمرأة والذي عقد عام (1395هـ-1975م) في المكسيك، ولتعديل البرامج المتعلقة بالنصف الثاني من العقد الأممي للمرأة، مع التركيز على الموضوع الفرعي للمؤتمر: العمالة والصحة والتعليم.

وفي عام (1985م، 15-26 يونيو، 27/10-1405/1/19هـ)، عقد **المؤتمر العالمي لاستعراض وتقييم منجزات عقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم** في نيروبي بكينيا -المؤتمر الثالث الخاص بالمرأة- الذي عرف باسم **إستراتيجيات نيروبي المرتقبة للنهوض بالمرأة**، وذلك من عام(1420-1406هـ/2000-1986م).

وقد شارك فيه سبع وخمسون ومائة دولة. وقد بين المؤتمر أهداف وغايات العقد الأممي، وشدد على صحتها بالنسبة إلى المستقبل، وبين الحاجة إلى اتخاذ تدابير ملموسة للتغلب على العقبات التي تعترض سبيل إنجازها أثناء الفترة (1406-1420هـ/2000-1986م).

وفي عام (1995م، 4-15 سبتمبر، 9-1416/4/20هـ) عقدت الأمم المتحدة المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة، في بكين بالصين. وقد دعت فيه إلى مضاعفة الجهود والإجراءات الرامية إلى تحقيق أهداف استراتيجيات نيروبي التطلعية للنهوض بالمرأة بنهاية القرن الحالي.

ويعتبر هذا المؤتمر متميزاً عن المؤتمرات الأخرى التي تبنتها الأمم المتحدة؛ حيث دعت فيه بصراحة وبوضوح إلى العديد من الأمور التي فيها مخالفة للشريعة الإسلامية، بل فيها مخالفة للفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، مثل:

الدعوة إلى الحرية والمساواة -بمفهومهما المخالف للإسلام-، والقضاء التام على أي فوارق بين الرجل والمرأة، دون النظر فيما قررته الشرائع السماوية، واقتضته الفطرة، وحتمته طبيعة المرأة وتكوينها.

وكذلك الدعوة إلى فتح باب العلاقات الجنسية المحرمة شرعاً، من ذلك: السماح بحرية الجنس، والتنفير من الزواج المبكر، والعمل على نشر وسائل منع الحمل، والحد من خصوبة الرجال، وتحديد النسل، والسماح بالإجهاض المأمون، والتركيز على التعليم المختلط بين الجنسين وتطويره، وكذلك التركيز على تقديم الثقافة الجنسية للجنسين في سن مبكر، وتسخير الإعلام لتحقيق هذه الأهداف.

وكذلك ركز المؤتمر على الخدمات الصحية التناسلية والجنسية، وكيفية معالجة ما يقع من الأمراض الجنسية، والحمل، وبخاصة (الإيدز).

كما أن في هذا المؤتمر إعلاناً للإباحية، وسلباً لقوامة الإسلام على العباد، وسلباً لولاية الآباء على الأبناء.

- وأخيرا: **مؤتمر الأمم المتحدة للمرأة** عام (1420هـ -2000م) **المساواة والتنمية والسلام في القرن الحادي والعشرين**، الذي انعقد في (نيويورك-الولايات المتحدة الأمريكية).

ويعتبر أهم هدف في هذا المؤتمر هو: الوصول إلى صيغة نهائية ملزمة للدول، بخصوص القضايا المطروحة على "أجندة" هذا المؤتمر، التي صدرت بحقها توصيات ومقررات في المؤتمرات الدولية السابقة، تحت إشراف الأمم المتحدة .

ولأهمية هذا المؤتمر -وتعويل التيار النسوي العالمي عليه-؛ فقد أقيمت عدة مؤتمرات إقليمية لمتابعة توصيات مؤتمر بكين، والتمهيد لهذا المؤتمر المسمى: (**المؤتمر التنسيقي الدولي للنظر في نتائج وتطبيق قرارات المؤتمرات الأممية للمرأة**).

1- المصدر: نشرة صادرة عن إدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة، بدون تأريخ.
2- اعتمد هذا الإعلان ونشر بقرار الجمعية العامة 217 ألف (د-3) المؤرخ في 10 كانون الأول/ديسمبر 1948م. انظر: حقوق الإنسان في الإسلام/محمد الزحيلي ص، 393 وحقوق الإنسان/ محمود بسيوني ص17.
3- حقوق الإنسان/ محمود بسيوني ج1 ص93 .
4- وهي: (ميثاق الأمم المتحدة - الإعلان العالمي لحقوق الإنسان - الاتفاق الخاص بالحقوق السياسية للمرأة - الإعلان الخاص بالقضاء على التمييز ضد المرأة - إعلان طهران 1968م).

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

الاهتمام الغربي بالمرأة، إكرام وإنصاف أم تطرف وإجحاف؟!

من المقرر في القرآن الكريم أن النصارى حرفوا الدين الذي بعث الله به عيسى عليه السلام، وأدخلوا فيه ما ليس منه، كما أنهم كتموا أشياء كثيرة أنزلت في الإنجيل، وقد انطلق تحريفهم من التوحيد والعقيدة في الله سبحانه، وامتد ليشمل أمورا أخرى كالقضايا الاجتماعية ومنها منزلة المرأة ومكانتها.

حيث كانوا يعتقدون أن المرأة مخلوق ساقط حقير، وأنه مصدر الشر، وكانت الكنيسة تتبنى هذه العقيدة وترسخها في المجتمع، الشيء الذي أثر في معاملة الرجال للنساء وجعلهم يحتقرونهن ويهينونهن، وإذا أكرموهن فذلك لقضاء الشهوات والتمتع بأجسادهن، حتى إذا قضوا منهن وطرا، ألقوا بهن في زاوية الإهمال بل طرحوهن في سلة الإهانة والاحتقار.

وقد كان لهذا الفكر المشين المعادي للمرأة دور كبير في تغذية جهود دعاة تحرير المرأة في أوروبا لفصل المرأة عن الدين وكل ما يمت له بصلة واعتباره عدو المرأة كما هو أفيون الشعوب.

وهكذا انطلقوا ينظرون ويخططون ويقومون بأنشطة مختلفة من أجل النهوض بالمرأة ورد الاعتبار لها وتمتيعها بحقوقها، واجتهدوا في إقناعها بأن الدين عموما والحفاظ على مكارم الأخلاق وعلى رأسها الحياء والعفة والحشمة مظاهر تقليدية سوف تعوقها عن الانطلاق نحو حياة جديدة شعارها الحرية والإخاء والمساواة.

وشُرع منذ سنة 1946م يُنحى منحى عولمة هذا الفكر، فأنشأت هيئة الأمم المتحدة في السنة المذكورة "لجنة مركز المرأة" وهي هيئة رسمية دولية تتألف من 45 دولة تجتمع سنويا بهدف عمل مسودات وتوصيات وتقارير خاصة بمكانة المرأة وتقويم تلك الأعمال.

وفي سنة 1948م صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والناظر فيه يقف على الحقيقة التالية: وهي أن المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة هي العمود الفقري لقضية إصلاح حال المرأة، فلا يمكن أن تصلح هذه الوضعية -من وجهة نظرهم- وتمتع المرأة بحقوقها ويرفع عنها الظلم إلا إذا طبق مبدأ المساواة التماثلية بين الرجال والنساء في كل التشريعات والقوانين، وهكذا جاءت مؤتمرات الأمم المتحدة لتكريس هذه القناعة وعولمتها، وقد اتسم هذا الاهتمام الغربي بالمرأة بتهميشه للإسلام بل والطعن في كثير مما جاء به فيما يتعلق بالمرأة، ورمي علماء الإسلام والدعاة إليه بالرجعية والتزمت والتطرف، وأنهم أعداء المرأة لا يرون فيها إلا الغواية والضلال وصفات أخرى تستوجب الإذلال والإهانة، وأنهم يريدون المرأة الذليلة التي تسجد تحت أقدام زوجها مرتعشة منكسرة!... في سلسلة من الاتهامات التي يقصد منها بالدرجة الأولى حشر الإسلام في زمرة الديانات المحرفة والمذاهب البشرية التي حملت فكرا معاديا للمرأة!

كما اتسم هذا الاهتمام بالدعوة الصريحة إلى الإلحاد والإباحية بكل أشكالها وأنواعها وهذا يشكل خطرا عظيما على البشرية.

وهكذا فإن من السلبيات التي جاءت في توصيات المؤتمرات الدولية المتعلقة بالمرأة:

- التهجم على الشريعة الإسلامية، والدعوة إلى إلغاء قيود أحكامها!!!

- الدعوة إلى المساواة المطلقة التماثلية بين الجنسين!

- نشر الفاحشة بالدعوة إلى حرية العلاقة الجنسية المحرمة، واعتبار ذلك من حقوق المرأة الأساسية والاعتراف بحقوق الزناة والزواني، بل الاعتراف بالشذوذ الجنسي! مع التنفير من الزواج المبكر، وسن قوانين تمنع حدوث ذلك، ودعوا إلى تيسير انتشار وتوزيع الواقيات الذكرية (capotes) بين الذكور على نطاق واسع وبأسعار زهيدة.

وشجعوا التعليم المختلط، وشددوا على ضرورة بقائه قائما في كل المستويات الدراسية!!

ومن منكراتها أيضا: الدعوة إلى أن يكون الإجهاض غير مخالف للقانون، وأن يكون مأموناً طبياً والدعوة إلى إلغاء القوانين التي تنص على اتخاذ إجراءات عقابية ضد المرأة التي تجري إجهاضاً غير قانوني، وأيضا الدعوة إلى أن يكون الإجهاض حقاً من حقوق المرأة، وتيسير حصولها على هذا الحق، عندما تريد إنهاء حملها، ولذلك يدعون إلى

حيث كانوا يعتقدون أن المرأة مخلوق ساقط حقير، وأنه مصدر الشر، وكانت الكنيسة تتبنى هذه العقيدة وترسخها في المجتمع، الشيء الذي أثر في معاملة الرجال للنساء وجعلهم يحتقرونهن ويهينونهن، وإذا أكرموهن فذلك لقضاء الشهوات والتمتع بأجسادهن، حتى إذا قضوا منهن وطرا، ألقوا بهن في زاوية الإهمال بل طرحوهن في سلة الإهانة والاحتقار.

إنشاء مستشفيات خاصة للإجهاض.

ويقرون قتل الأجنة داخل الأرحام، بحجة أن هذا الحمل غير مرغوب فيه!!

وأكدوا على تهميش عمل المرأة داخل المنزل، واعتبار ذلك عملاً ليس له مقابل، وبالتالي فهو من أسباب فقر المرأة، ودعوا إلى خروج المرأة للعمل المختلط، ومساواتها بالرجل في العمل خارج البيت.

..في سلسلة من المفاسد والشرور، التي يوهمون أن تطبيقها شرط في إنصاف المرأة وتحريرها!

وقد أضحى بيِّنا لكل متتبع أن ما يدعو إليه الإسلام-الدين الذي ارتضاه الخالق للناس- في هذا الباب في شق، وما يدعو إليه الغربيون في شق آخر[1].

فالإسلام يدعو المرأة إلى توحيد الله والانقياد لشرعه؛ وأولئك يدعونها إلى الإلحاد والتمرد على الله ورفض شرعه.

والإسلام يدعو إلى المساواة التكاملية بين الرجل والمرأة؛ وهم يدعون إلى المساواة التماثلية بينهما[2].

والإسلام يدعو المرأة إلى الحشمة والستر والفضيلة؛ وهم يدعونها إلى التبرج والعري والرذيلة.

والإسلام يدعو إلى بناء الأسرة على المودة والتراحم والتكامل؛ والقوم يدعون إلى بنائها على التربص والكيد والتنافس...

ولا أجد تعبيرا جامعا لهذا المعنى أبلغ من قول الله تعالى في سورة النساء: "والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما" الآية 27.

على أنه لم يخل الاهتمام الغربي من مزايا ومحاسن منها ما دعت إليه المؤتمرات الدولية من تعليم المرأة ومحاربة الأمية في صفوف النساء، ومكافحة الأمراض السارية بينهن، ومحاربة الاتجار بالمرأة والطفل ومحاصرة العصابات الدولية التي تقوم بهذه الجريمة، والدعوة إلى الرضاعة الطبيعية، وهذه الأمور مرغب فيها في ديننا، لكن جانب الشر عند القوم كان طاغيا على جانب الخير، وقد تجلى بوضوح في غلو مشين تولد عن عدوان مهين، والضحية في ذلك كله المرأة المسكينة..

فإنها في فكرهم وممارساتهم في وضعية لا تحسد عليها؛ حيث نزلوا بها إلى أدنى دركات الانحلال والتفسخ الأخلاقي وخدعوها بشعارات الحرية والمساواة، فهتكوا عرضها وقتلوا عفتها، حتى صار عرض كثير من النساء اليوم رخيصا مبذولا وهكذا يظهرون أنهم آسفون على ما كانت تعاني منه المرأة في الجاهلية القديمة، وقالوا سننتصر لها لكنهم غلوا وأفرطوا فتطرفوا تطرفا يقابل تطرف السابقين، وهو تطرف متعمد من كثيرين إذ يمكنهم من استغلال المرأة لتحقيق مصالحهم المادية والسياسية وتغذية شهواتهم البهيمية[3]؛ فقد أضحت المرأة الوسيلة الأساسية لترويج السلع والمنتوجات وعرض الخدمات والدعاية لهذه الأمور، وكانت من أهم الوسائل المستعملة لاحتلال بعض الدول واغتصاب حقوق أهلها، واستغلت المرأة لضمان الانتشار الواسع للمذهب الإباحي، وصار الرجل يجد حاجته وما يروي به غليله الجنسي في الشارع والمقهى والمدرسة والإدارة وفي كل مكان.

فالمرأة هي الضحية الأولى للفكر الغربي الإباحي؛ انظر إليها أخي القارئ كيف اضمحلت أنوثتها نتيجة اختلاطها الدائم بالرجال، وانظر كيف كلفت من الأعمال ما لا تطيق حيث أضيفت إلى أعبائها الطبيعية (من الاعتناء بالبيت والأطفال) عبء العمل خارج البيت، وانظر إلى عرضها كيف أضحى رخيصا يتاجر فيه بثمن بخس..

ولذلك كثرت في وسط النساء المتأزمات نفسيا والمنتحرات والمطلقات بغير حق والعوانس المحرومات من دفء الحياة الزوجية والأسرية، والمصابات بالأمراض الجنسية الفتاكة، وكثرت حالات الإجهاض، واتجهت كثير من النساء إلى الخمور والمخدرات.. في سلسلة من الطامات التي يجتهد حماة الفكر الإباحي في تغطيتها والتهوين من شأنها استكبارا في الأرض ومكر السيِّء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

ومما يتأكد بيانه أن عقلاء ومنصفي القوم أنكروا بشدة هذا التوجه (أي الاهتمام) المدمر للبشرية، ودعوا إلى رفضه، وبينوا مخاطره، وأن المرأة هي أول متضرر به.

لكن لم تجد صيحاتهم استجابة رسمية، وذلك لغلبة الهوى على النفوس، وتغلغل حب الفاحشة في شغاف القلوب.

وصدق ربنا الكريم حيث قال: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} الجاثية23.

1- خلافا لما يزعمه البعض من كون ما جاء في هذه المؤتمرات تراث إنساني مشترك بين المسلمين وغيرهم.

2- يعتقد كثير من الناس أن المساواة رديفة للعدل وهذا خطأ؛ فقد تكون المساواة ظلما.

3- قال أحدهم: "إننا نتخذ العاهرات للذة، ونتخذ الخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليومية ونتخذ الزوجات ليلدن لنا الأبناء الشرعيين" (عمل المرأة ص37).

في اليوم العالمي للمرأة
يوم المرأة "العالمية".. أم "الغربية"؟

"يوم المرأة العالمي" الذي يراه كثيرون في العالم مناسبة للحديث عن "تحرير المرأة" ونضالها، نراه نحن مناسبة للكلام على مفهوم "التحيز" للنموذج الحضاري الغربي الحديث، من خلال استعراض تاريخ بدء الاحتفال وإلقاء الضوء على بعض تداعياته.

تعود جذور ما سمي بـ"يوم المرأة العالمي" إلى القرن الـ19، على خلفية "التصنيع السريع" الذي شهدته أمريكا وأوروبا، حيث نمت حركات عمالية ونقابية جماهيرية ردًّا على تعميق استغلال العمال. ولم يكن هدف هذه الحركات تحسين ظروف العمل فحسب، بل تحويل العمال والعاملات إلى قوة سياسية، لذلك كان التركيز في نضالاتها على "حق الاقتراع للطبقة العاملة".

وكون الأغلبية الساحقة من العاملين في فرع النسيج (في أمريكا) من النساء جعل لهن دوراً مهمًا في تحديد ساعات العمل، وكان هذا المطلب الرئيسي الذي تصدّر شعارات الأول من مايو (عيد العمال الذي يوصف بـ"العالمي") الذي احتُفل به لأول مرة في الولايات المتحدة عام 1886.

وكان للمظاهرات دور مهم في طرح "مشكلة المرأة العاملة" على جدول الأعمال اليومية، فالمظاهرة الأولى للعاملات كانت في 1857 بنيويورك، حيث خرجت عاملات النسيج احتجاجًا على ظروف عملهن، وبعد 50 عاماً من المظاهرات خرج في 8 مارس 1908 ما يقارب 15 ألف عاملة بمسيرة في نيويورك، تطالب بخفض ساعات العمل ورفع المعاش، ووقف تشغيل الأطفال، وحق الاقتراع، وكان شعار المظاهرات "خبز وورود".

رافق ذلك نمو حركات نسائية (في الولايات المتحدة) من الطبقات الوسطى طالبت بحق المرأة في المشاركة بالحياة السياسية، وأولها حق الاقتراع، وكان اسم هذه الحركات "سوفراجيستس"(souffragists)، وتعود جذورها للنضال ضد العبودية، ومن أجل انتزاع حق الأمريكيين الأفارقة بالمساواة. وحين منعت النساء اللواتي شاركن في هذه الحركات من الخطاب من أجل "حقوق السود"، لكونهن نساء.. قمن بتشكيل حركة نسائية للمطالبة بـ"حقوق المرأة" أيضًا.

غير أن فكرة "الاحتفال" ربما تحسب لائتلاف المنظمات النسائية الذي قرر عام 1908 الاحتفال بيوم المرأة في يوم الأحد الأخير من شهر فبراير، وكان أول يوم (وطني) للمرأة تم الاحتفال به في 23-2-1909.

لم تكن أوروبا بعيدة عن هذه التغييرات، ففي 1910 سافر وفد نسائي أمريكي للمؤتمر الثاني للنساء الديمقراطيات الاشتراكيات في "كوبنهاجن" (الدانمارك)، حيث اقترح تكريس يوم المرأة العالمي، وكان الجو مهيأ لإعلان "يوم المرأة العالمي" بعد نجاح يوم المرأة في الولايات المتحدة. لكن الاحتفال بيوم المرأة العالمي في 8 مارس تم في 1913، وبقي هذا التاريخ رمزًا لـ"نضال المرأة" بحسب المتبنين لهذا اليوم.

وكانت "كلارا تسيتكين" (رئيسة تحرير مجلة العاملات "مساواة" منذ عام 1892 التابعة للحزب الاشتراكي الديمقراطي) قالت: "إن هذا اليوم يجب أن يكون له مضمون أممي"، وكان المؤتمر النسائي الاشتراكي في ألمانيا عام 1906 قد وجه نداء للنساء الاشتراكيات في كل أنحاء العالم للاحتفال بـ"يوم المرأة العالمي" كل عام.

تحيُّز للنموذج الغربي المادي

بهذه الإطلالة التاريخية المكثفة نفهم السياق الاجتماعي والتاريخي لولادة هذا اليوم، ونفهم أيضًا لماذا يسمى أحيانًا بـ"يوم المرأة العاملة العالمي"، وقضية "عمل المرأة" تختزن كل تحولات الخارطة الاجتماعية الغربية التي



استتبعت كل قضايا وحقوق المرأة السياسية وغيرها لتصل إلى "حق ملك الجسد وحرية التصرف فيه" التي نادت بها مؤتمرات الأمم المتحدة. ويعكس هذا الحق الأخير -بعمق- رؤية النموذج الغربي المادي لمفهومي "حقوق" و"حرية" المرأة بما يخرج عن كل المسلّمات الدينية (الإسلامية والمسيحية واليهودية على السواء)، ويتحدى معتقد الجماهير التي تنادي بحقوقها وحرياتها!!

ويمكن لنا قراءة التحيز للنموذج الغربي المادي من زاوية "عمل المرأة" الذي يتلخص في أن "العمل" هو ذلك الذي تقوم به المرأة خارج بيتها، وتتقاضى عليه مقابلاً ماديًا، وبهذا تعود لدائرة "الإنتاج الاجتماعي" -كما عبرت إحدى الاشتراكيات- وهي تعني "الإنتاج الاقتصادي"، فهذه الرؤية تعتبر أن الإنسان الذي يستحق الاحترام هو ذلك الاقتصادي الذي ينتج ويستهلك، بمعنى أنه جزء من عالم السوق/المصنع. أما رقعة الحياة الخاصة فيتحرك فيها الإنسان، ويقوم بنشاطات إنسانية كثيرة (أبرزها: التربية والرعاية) لكن هذه ليس لها مقابل مادي، ومن ثم فهي لا تدخل في دائرة "الإنتاج الاجتماعي/الاقتصادي"!

وضمن هذه الرؤية يمكن فهم إلحاح البعض على تفسير العلاقة بين الزوجين تفسيراً اقتصاديًا، تكون فيه تبعية الزوجة للزوج اقتصاديًا سببًا في خضوعها له وانصياعها لأوامره، ومن ثم تم اعتبار "تحرر المرأة الاقتصادي" المدخل الأساس لحريتها ونيل حقوقها، بل إن "جلال أمين" اتخذ من التفسير الاقتصادي مفتاحًا لقراءة التحولات التي طرأت على المرأة المصرية حتى في تفسير تغيرات الحالة العاطفية بين الزوجين أيضًا (كما يراها هو كاقتصادي!)

إن فكرة "عالمية" حقوق المرأة التي تستدعيها عالمية يوم المرأة، وفق الأجندة المطروحة للأمم المتحدة، تتصل بهذا التحيز، في محاولة لفرض النموذج الغربي المادي (تم إحصاء 40 فقرة تخالف الأديان في مؤتمر السكان والتنمية) من خلال مؤتمرات الأمم المتحدة، وتسخير سلطتها لإعطاء الشرعية للنموذج قانونيًا وسياسيًّا من خلال اتفاقيات تتعهد الدول الأعضاء بالإذعان لها، وتنفيذها عبر لجان ومؤسسات تراقب عملية التنفيذ.

ولعل أبرز تلك المؤتمرات والاتفاقيات: اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (1979)، والمؤتمر الدولي للسكان والتنمية (1994)، ومؤتمر بكين، والتي ركزت على قضايا مركزية في النموذج الغربي، هي: الحرية الجنسية، والإجهاض، ومصطلح الجندر، وحقوق المرأة كفرد وليست كعضو في الأسرة، والمساواة/المماثلة التامة بين الذكر والأنثى، وإلغاء مفهوم "تمايز" الأدوار، وازدراء "الأمومة"، واعتبار العمل المنزلي "بطالة"، لأنه دون مقابل مادي...

هذه المفاهيم كلها تركز على مفهوم "الفردية" (المرأة ككيان منفصل عن الأسرة والزوج) الحداثي لتلك المرأة التي تضحي بكل شيء مقابل ممارسة حريتها المطلقة وتأكيد وجودها، ولو كانت التضحية على حساب العائلة والأولاد، فالمرأة الإيطالية -مثلاً- بدأت "العزوف عن كثرة الإنجاب أو عن الإنجاب كلية أو حتى الزواج، وتطالب بتحول العلاقة بينها وبين الرجل إلى مفهوم المتعة التي يجب أن تتساوى فرصة الرجل والمرأة في الحصول عليها، وبالتالي تفضيل الوظيفة البيولوجية على الوظيفة الاجتماعية".

العالمية والخصوصية

لكن إذا كنا نعتبر أن "يوم المرأة العالمي" من التحيُّزات الكثيرة للنموذج الغربي المادي الحديث.. فهل يعني هذا أننا كمسلمين بريئون من تهمة "التحيز"؟ لا. ولكن، هل يعني هذا شرعية أن تتقوقع كل حضارة داخل نفسها لتشكل بِنية مُصْمَتة بذاتها؟ هذا لا يصح تاريخيا، فكل حضارة كانت تتفاعل مع الأخرى، وهذا التفاعل من طبيعته أن يشتمل على تأثر وتأثير (أخذ وعطاء)، كما أن التقوقع لا يتفق مع "عالمية" رسالة الإسلام {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}. وبهذا فنحن لا ندعو إلى خصوصية "صلبة" ترفض الآخر وكل ما يتعلق به كلية بحجة أنه "غير إسلامي" لتصبح "الخصوصية" ذريعة للانعزالية والانكفاء على الذات، فتساوي بهذا ذريعة "العالمية" التي تعني في بعض التطبيقات "الارتماء" في أحضان الآخر من دون وعي.

نحن لا نرفض منطق "العالمية" كليةً إذن، ولا ننكر أن هناك مشتركًا إنسانيًّا على مستوى القيم والتصورات يشترك فيه الجميع بوصف كل واحد منهم "إنسانًا"، وإنما تأتي خصوصيتنا من مرجعية "الوحي" التي تضبط القيم والتصورات. ولذلك نشكك في مشروعية القول بعالمية "النموذج الغربي" للمرأة الذي يخرج على ثوابت دينية باتت معروفة، ونرفض جعل تاريخها هو تاريخ العالم، كما نرفض القول: **إن مطالب المرأة الغربية هي نفسها مطالب كل امرأة في العالم.**

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

توجه الجمعيات النسائية اليسارية بالمغرب
-عرض ونقد-

ظهرت في بلدنا منذ الخمسينيات أحزاب يسارية انبثقت عنها جمعيات ومنظمات نسوية تتبنى الرؤية الغربية في قضية المرأة، وتمشي على خطى الحركة العربية التحررية المتطرفة التي انطلقت من مصر، ثم امتدت أطرافها إلى باقي البلاد الإسلامية.

وقد كونت تلك الجمعيات، مجموعة سمتها: (ربيع المساواة)، ما فتئت تدعو إلى تطبيق شرع (هيئة الأمم المتحدة)، وتجتهد لتجسيد كل توصيات مؤتمراتها الدولية في واقع مجتمعنا المغربي، وتطالب حكومته بالامتثال الكامل لذلك، ورفع كل التحفظات التي أبدتها على بعض تلك التوصيات -سيما في مجال قانون الأسرة- بما فيها التحفظات القائمة على احترام الشريعة الغراء، وعدم التقدم بين يديها!!

قالت مسؤولة إحدى الجمعيات المذكورة قبل المصادقة على تعديل مدونة الأسرة: "إن المجموعة النسائية تقدمت بمذكرة للحكومة تتضمن تعديلات على مدونة الأحوال الشخصية، تقوم بالأساس على نبذ علاقة "الطاعة مقابل الإنفاق" التي تشكل جوهر المدونة الحالية، وتهدف إلى قيام علاقة الندية بين الرجل والمرأة عبر مراحل ثلاث، تبدأ عند الإقدام على الزواج، وتستمر أثناء الحياة الزوجية، وتنتهي بانتهاء تلك الحياة، وهي مجموعة مقتضيات مترابطة.

وأضافت المسؤولة أن مرحلة الإقدام على الزواج تنص على توحيد السن الدنيا للزواج وهي 18 سنة كاملة بالنسبة للرجل والمرأة على حد سواء، وتمتع كل من المرأة والرجل بكامل الأهلية القانونية لإبرام عقد الزواج بنفسيهما، والنص على منع تعدد الزوجات.

وعند وقوع الطلاق -لا قدر الله- فإن الجمعيات تقترح أن يحكم القاضي بالطلاق بعد تراضي الزوجين عليه، أو بناء على طلب أحد الزوجين بسبب ضرر متبادل، ثم التصرف المشترك في الممتلكات بأن يتم اقتسام الممتلكات التي امتلكها الزوجان أثناء الحياة الزوجية في حالة الطلاق أو الوفاة، واعتبار العمل المنزلي مساهمة في تلك الممتلكات، وتوحيد شروط الحضانة وذلك بضمان حرية زواج الحاضن من الأبوين رجل أو امرأة، وبقاء الحاضن من الأبوين في بيت الزوجية، وتوحيد سن المحضون -ولد أو بنت- في 15 سنة"..

وقالت أخرى: "ويمكن تلخيص سقف مطالبنا (أي فيما يتعلق بمدونة الأسرة) في: توحيد سن الزواج في 18 سنة، إلغاء الولاية على المرأة، وضع حل العلاقة الزوجية بيد القضاء، اقتسام الممتلكات المكونة أثناء الحياة الزوجية عند الطلاق أو الوفاة، إبقاء الحضانة للأم المطلقة وإن تزوجت" الصحيفة العدد 127.

و مما أسفرت عنه أنشطة هذه الجمعيات: صدور مشروع سمي ب(الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية)، أعدته كتابة الدولة المكلفة بالرعاية الاجتماعية والأسرة والطفولة، والذي أعلن عنه في 19 من شهر مارس 1999، وقد طالب واضعوه بما طالبت به الجمعيات المذكورة آنفا مما يتنافى مع الأحكام الشرعية المطهرة، ولذلك لقي هذا المشروع انتقادا شديدا من الشعب المغربي المسلم ويتصدره العلماء -على رأسهم أعضاء رابطة علماء المغرب- الذين قرروا أن هذه الخطة جزء من مخطط دولي يهدف إلى فرض النموذج الغربي العلماني في العلاقات الاجتماعية والأسرية، وأنه يعرض الأسرة المغربية لنوع آخر من أنواع التفكيك والتشتيت، وأكدوا بأن قطار التنمية ينبغي أن يسير على سكة الأصالة والتمسك بشريعة الإسلام وعدم تحريم الحلال أو تحليل الحرام.

والفصل السادس من الدستور ينص على أن الإسلام دين المملكة المغربية.

والفصل السادس بعد المائة منه ينص على أن الإسلام لا يقبل المراجعة .

أما الخطة فقد جاء في مقدمتها أن أصحابها اعتمدوا في وضعها على المرجعية الدولية! ممثلة في ما صدر عن مؤتمرات نيروبي والقاهرة وبكين وغيرها، بل صرحوا في التقرير الذي رفعوه إلى الأمم المتحدة بعناية التحضير للدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة في يونيو 2000م بأن مرجعيته الخاصة هي توصيات مؤتمر بكين وغيره من المؤتمرات!

ونقول لأصحاب هذا التوجه -في إطار النقد البناء والنصح الهادف-: إن إصلاح وضعية المرأة ينبغي أن نعتبره نحن معشر المسلمين واجبا شرعيا نتقرب به إلى الله، وليس فقط مجرد نشاط يخدم الإنسانية أو عمل نسعى من خلاله إلى عولمة الفكر الغربي ونشر مبادئ الغربيين وقيمهم، وكيف لا نكون كذلك ونحن نعلم أن ديننا رفع المرأة إلى منزلة سامقة، وأمر بإكرامها والعناية بها وتمتيعها بحقوقها وصيانتها من الظلم، وجعل ذلك تكليفا أنيط به الثواب والعقاب.

فهذا هو الباعث عندنا في قضية المرأة وإصلاح وضعيتها في مجتمعنا: "امتثال أمر الله والعمل بأحكام وتوجيهات الإسلام" الدين الذي ارتضاه الله لعباده. وقناعتنا أن الخير كله في العمل بهذه الأحكام والتوجيهات والتمسك بها.

أما القوم فغفلوا عن هذا المنطلق السليم حيث كان الباعث عندهم قناعتهم بتفوق التجربة الغربية في هذا الباب وأنها شرط في التقدم والتنمية والحداثة! وأنه لا خلاص لنسائنا إلا في محاكاتها حذو القُذّة بالقذة!

وكما أننا نخالف أصحاب هذا التوجه في الباعث والمنطلق؛ فكذلك نخالفهم في تشخيص الداء وتعيين الدواء في هذه القضية.

ففي التشخيص -مثلا- لا يعرجون على (ضعف التدين) الذي نعتبره نحن من أهم صور الوضعية السيئة للمرأة؛ فالجهل بدين الله وفساد التصور والأخلاق ونحو هذا مما هو راجع إلى التدين لا يعتبرونه ولا يقيمون له وزنا، بل يرون أن الدعوة إلى إنقاذ المرأة منه تحكم وتدخل في شؤون الإنسان الخاصة به، بناء على مفهومهم الخاطئ للحرية.

وقد أدى تجاهلهم لهذا الجانب إلى شرور كثيرة من أبرزها المس بعرض نسائنا بما لا يرضاه صاحب مروءة، حيث ولغت فيه كلاب الإباحية المسعورة، وصارت أجساد المغربيات معروضة في الشبكة العنكبوتية أخس عرض وأقبحه، وأضحت فتياتنا في الإعداديات والثانويات مستهدفات من طرف قراصنة الجنس، وأرباب الفساد، الذين يعرضونهن لطالبي المتعة الرخيصة في الفنادق وغيرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فبم نفسر سكوت هذه الجمعيات عن هذا الواقع الأفين؟ وكيف نجمع بين هذا السكوت والتغاضي وبين ما يدّعونه من الغيرة على حقوق المرأة المغربية؟!

أم أن انتقاد هذه الويلات يعد عندهم نزعة أصولية إرهابية، تحجر على الحريات وتحارب الفن وتعرقل قافلة السياحة؟!!!

ومن انحرافهم في التشخيص أيضا اعتبارهم بعض الأحكام الشرعية من

..وقد أدى تجاهلهم لهذا الجانب إلى شرور كثيرة من أبرزها المس بعرض نسائنا بما لا يرضاه صاحب مروءة، حيث ولغت فيه كلاب الإباحية المسعورة، وصارت أجساد المغربيات معروضة في الشبكة العنكبوتية أخس عرض وأقبحه، وأضحت فتياتنا في الإعداديات والثانويات مستهدفات من طرف قراصنة الجنس، وأرباب الفساد، الذين يعرضونهن لطالبي المتعة الرخيصة في الفنادق وغيرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فبم نفسر سكوت هذه الجمعيات عن هذا الواقع الأفين؟ وكيف نجمع بين هذا السكوت والتغاضي وبين ما يدّعونه من الغيرة على حقوق المرأة المغربية؟!

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

صور الوضعية السيئة للمرأة: كالولاية عليها في النكاح وإعطاء الرجل حق التطليق والتعدد!...

ولنا مع هذا الانحراف وقفات في الأعداد القادمة إن شاء الله.

وهكذا في وصف الدواء، فإنهم يتبنون -بناء على قناعتهم السابقة- مرجعية غريبة عنا تصطدم مع عقيدتنا وشريعتنا؛ وهي المناهج والقناعات الغربية التي يسعى الغرب في فرضها على الناس.

ومع اختيارهم لهذه المرجعية فإنهم يصرحون برفض المرجعية الشرعية!

نشرت يومية (لوماتان) المغربية في عدد الثلاثاء 10 يونيو 2003 مقابلة أجرتها صحفية مع رئيسة إحدى جمعيات (ربيع المساواة) دعت فيها إلى إبعاد الدين عن مدونة الأحوال الشخصية وقالت: "التدخل الديني في الشؤون العامة ينبغي أن ينتهي"!!(التجديد: العدد 658 ص2). فيدعون إلى وضع حد لتدخل (الدين)، ويرحبون بتدخل (هيئة الأمم المتحدة!!!)

وهكذا نرى كيف بلغت الوقاحة بأقطاب التوجه النسوي المتطرف إلى حد التصريح برفض المرجعية الإسلامية السامية مع أنها المرجعية الكفيلة بحل مشاكلنا دون انغماسنا في أوحال التبعية الماسخة، ووقوعنا فريسة بين أنياب العولمة الأمريكية المذلة؛ فشريعة الإسلام أنزلها رب العالمين وهو سبحانه أعلم بما يصلح أحوال عباده المختلفة ومنها حال المرأة، قال سبحانه: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} سورة الملك وقال: {وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} سورة البقرة.

وقد حرم الله تعالى التحاكم إلى غير شرعه وقال سبحانه : {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} سورة الجاثية،وقال سبحانه : {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} سورة المائدة.

وهذا الاختيار كما أن فيه محادة لله تعالى وتنكر لشرعه الحنيف، فإن فيه تجاهلا لحقيقة إصلاحية هامة بينها محمد فريد وجدي في قوله: "نحن أمة أحكمت روابطنا أصول دينية، ورسخ في أذهاننا أننا لم نهبط عن عرش عزنا إلا لترك تلك الأصول الموصلة لسعادة الحياتين، وتلك أمة ربطت آحادها روابط الجنسية أو الوطنية، ورسخ في أذهانها أنها لم ترتق إلا بترك التعاليم الدينية.

هذه النظرة البسيطة على أصولنا الاجتماعية العمومية تكفي لأن تقنعنا بأننا لن نستطيع أن نحذو حذو أوربا في شؤونها إلا إذا حلت عندنا محل الرابطة الدينية رابطة وطنية أو جنسية، ومحي من أذهاننا أن رقينا لأوج السعادة لا يتأتى إلا بترك الديانة الإسلامية، وهل يمكن حدوث هذا التحول الذريع ما دام العلم التجريبي يرينا كل يوم أن ديننا هو إكسير شفائنا ومرهم سائر جراحنا، وهو الذي أدركه مثلنا كثير من مشاهير علماء الغرب.

والخلاصة ما دامت رابطتنا الإسلامية الرئيسية هي من غير جنس روابط سائر شعوب العالم فلا يتأتى لنا مطلقا أن نحذو حذو أي شعب من الشعوب في ما يصادم طبيعة تركيبتنا الإسلامية ولا يوافق تعاليم مدنيتنا العزيزة في نفوسنا. ومع كل هذا فإن الطريق الذي يسير فيه الغرب بالنسبة للنساء مملوء بالمخاطر، مشوب بالعواثير المخيفة بشهادة أكبر عمرانييهم، فكيف يسوغ لنا اليوم أن نتمسح في أمراضهم لننتحلها لأنفسنا ثم نكلف بتحمل أعراضها وآلامها؟".

فصلاح حال المرأة عموما ونسائنا المغربيات خصوصا في الشريعة الإلهية لا في التبعية الغربية، وتحسين وضعيتها إنما هو بالرجوع إلى شريعة الإسلام لا باستيراد قوانين الغربيين.

وليحذر الذين يظنون أن صلاح حال نسائنا في تقليدهم -ويجتهدون في هذا الإصلاح المزعوم- من الدخول في قوله تعالى : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ} البقرة11-12.

نعم للإصلاح لا للتغريب

الدكتور مروان القيسي

ومن هنا كان الفرق بيِّنا واضحا بين رجلين: مسلم ومستغرب، فكلاهما يدعو لتحرير المرأة، لكن الأول مخلص أمين لدعوته تحكمه تقوى الله ومخافته، وهو يريد تحرير المرأة لمصلحة المرأة نفسها. أما الآخر وهو المستغرب فهو يريد أن يحرر المرأة لإشباع نزواته، ويحررها ليستعبدها.

لا يماري أحد في أن المرأة المسلمة تعاني من أوضاع سيئة، وتغيير هذه الأوضاع غاية يسعى إليها المخلصون من أبناء هذه الأمة والحاقدون عليها، فجميعهم يسعون نحو التغيير لكن بنوايا مختلفة وأساليب متغايرة، فالمخلصون يريدون التغيير نحو الأفضل، أي نحو الالتزام بدين الله تعالى، أما الحاقدون فإنهم يريدون التغيير نحو الأسوأ أي الإجهاز على ما تبقى من إرث الإسلام بين نساء المسلمين وتحقيق المقاصد الغربية في المجتمعات الإسلامية وهيهات لهم ذلك.

إن تصويب فهم أحكام الإسلام الخاصة بالمرأة هو الخطوة الأولى نحو التغيير، لكن قد يقال ماذا يجدي ظهور صورة المرأة في الإسلام إذا كان الواقع التطبيقي يحارب ذلك؟ والجواب أن العدل لا يتم إلا باجتماع التشريع الصحيح والتطبيق الصحيح، والتشريع الصحيح لا بد له من فهم صحيح، وحتى لو لم تسمح الظروف الآن بإعادة المجتمع وإلزامه شعبيا ورسميا بالإسلام، فإن إيضاح الصورة مساهمة كبيرة وإنجاز بحد ذاته.

إن وعي المرأة بدينها هو الأساس لأي تقدم تريد المرأة أن تحققه، وإن جهلها بأحكام دينها هو سبب كل تخلف نزل بها وكل ظلم لحقها، وإذا كان إبعاد الإسلام عن الواقع يلحق التأخر والظلم والمعاناة... بكل أبناء الأمة فإن المرأة أكثر الناس نصيبا من ذلك كله إذا ظل الإسلام مبعدا عن الحياة، لذا فمن الطبيعي والمنطقي أن تتقدم المرأة الصفوف الداعية لاستئناف الحياة الإسلامية، ومن العجيب الغريب أن نرى أحيانا المرأة تتصدر الصفوف المعادية للإسلام في بعض أنحاء من العالم الإسلامي مطالبة بشكل غير مباشر أو مباشر أحيانا بالتحرر من فضائل الإسلام وتعاليمه.

إن الحريص على نفع نفسه لا يستبدل بالقيم التقليدية المنافية للإسلام،-والتي تَرسَّخت في مجتمعاتنا الإسلامية-، قِيَما غريبة عنا فإن ذلك من باب استبدال الأسوأ بالسيء، أضف إلى ذلك أن استئصال عادة اجتماعية ما ليس بالأمر السهل الهين، فالعادات الاجتماعية لها جذورها الضاربة في أعمال المجتمع واستئصالها يحتاج إلى قوة جبارة تدعو الداعين إلى انقلاب في عادات المجتمع وتقاليده في وجه خصومهم التقليديين الذين يتمسكون بالسيء والحسن من العادات، لا لشيء إلا لأنهم ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، وهذه القوة لا تتوفر إلا عند الداعين إلى الرجوع إلى الإسلام فقط، لأنه ما زال للإسلام سلطانه وقوته في المجتمع، ولذا رأينا أن الداعين إلى الحل الغربي قد فشلوا فشلا ذريعا. وما نراه اليوم من تأثر أبنائنا بالعادات والتقاليد المستوردة لا يدل على نجاح الفكرة الغربية وكل ما يدل عليه هو تأثر جزئي ببعض هذه التقاليد كما أنه يدل على نجاح الأفكار الغربية في إبعاد أبنائها عن الإسلام لا في إخراجهم منه وإدخالهم في دولاب الحياة الغربية بالكلية، فالخلفية التاريخية وصياغة الفرد العربي النفسية عبر عشرات السنين أمران يجعلان ذلك قضية مستحيلة تماما.

إن المسلمة الواعية ترفض التقاليد البالية التي لا صلة لها بالإسلام من قريب أو بعيد، مثل الغلاء الفاحش للمهور أو إجبار الفتاة على الزواج أو حرمانها من الإرث (أو تعسف الرجل في استعمال حقوقه أو سطوه على حقوقها أو انتقاصه لشخصيتها..)، لكنها لا تقبل أن تلتمس الحلول من المجتمعات الغربية التي أعوزتها الحلول لمشكلاتها، والتي لا تزال تتخبط في أوحال الضياع حتى آذانها، ونحن وإن كنا لا نقبل الاستبداد الذي يمارسه بعض الرجال ضد المرأة، لكننا نلتمس حل هذه المشكلة في الإسلام، ولا نرى أن حلها يكون بتحرير المرأة على الطريقة الغربية دون قيود أو حدود.

ومن هنا كان الفرق بيِّنا واضحا بين رجلين: مسلم ومستغرب، فكلاهما يدعو لتحرير المرأة، لكن الأول مخلص أمين لدعوته تحكمه تقوى الله ومخافته، وهو يريد تحرير المرأة لمصلحة المرأة نفسها، أما الآخر وهو المستغرب فهو يريد أن يحرر المرأة لإشباع نزواته، ويحررها ليستعبدها.

الأول يريد تحريرها على الطريقة الإسلامية من كل ظلم نزل بها ومن كل العادات التي لا يقرها الإسلام، والآخر يريد أن يحررها على الطريقة الغربية من كل قيد فضيلة وشرف.

ولا ريب أن الذي سيقرر مستقبل المرأة المعاصرة هو المرأة نفسها، وعيها وعقلها وذكاؤها، فالوعي هو حصن المرأة الذي يحميها من الأخطار التي تحيط بها من كل جانب، أخطار الضياع وأخطار الذئاب التي تنتظر خروجها من حصن عفتها ومعقل طهارتها وتحررها من قيود الشرف والفضيلة، لتنقض عليها بلا رحمة، فتجعلها وسيلة متاع وسبب الذلة تتقاذفها أيدي الرجال وأرجلهم، وفي نفس الوقت الذي يقومون فيه بذلك يثنون عليها ويصفونها بأنها استطاعت بعد جهاد ومشقة أن تتحرر، وبأنها الآن فقط ارتقت إلى المستوى الذي يليق بها في القرن العشرين!

تنبيه هام: إن هذه الجريدة تتضمن آيات من القرآن الكريم فالواجب عدم امتهانها

أبو وئام رشيد الإدريسي

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

بين عبادتين

لما كان دين الله عز وجل بين الغالي فيه والجافي عنه، صار من سمات أهل السنة التي تميزوا بها عن غيرهم الوسطية في سائر مسائل الدين من ذلك أنهم وسط بين المشتغلين بالعبادات القلبية فقط والمشتغلين بالعبادات الظاهرة فحسب، فجمعوا بين العبادة الظاهرة والباطنة معا.

قال ابن القيم رحمه الله: "إن لله على العبد عبوديتين عبودية باطنة وعبودية ظاهرة، فله على قلبه عبودية، وعلى لسانه وجوارحه عبودية، فقيامه بصورة العبودية الظاهرة مع تعريه عن حقيقة العبودية الباطنة مما لا يقربه إلى ربه ولا يوجب له الثواب وقبول عمله.

..ولما رأى بعض أرباب القلوب طريقة هؤلاء الفقهاء (أي بعضهم) انحرف عنها هو إلى أن صرف همه إلى عبودية القلب وعطل عبودية الجوارح، وقال: المقصود قيام القلب بحقيقة الخدمة والجوارح تبع، والطائفتان متقابلتان أعظم تقابل. هؤلاء لا التفات لهم إلى عبودية جوارحهم ففسدت عبودية قلوبهم، وأولئك لا التفات لهم إلى عبودية قلوبهم ففسدت عبودية جوارحهم. والمؤمنون العارفون بالله وبأمره قاموا له بحقيقة العبودية ظاهراً وباطناً وقدموا قلوبهم في الخدمة وجعلوا الأعضاء تبعاً لها فأقاموا الملك وجنوده في خدمة المعبود وهذا هو حقيقة العبودية". بدائع الفوائد 3/229-230. وانظر إغاثة اللهفان 1/187، والفتاوي لابن تيمية 20/72-73.

أصل الدين ومبدأ التكاليف

اعلم أن أصل الدين ومبدأ التكاليف كلها القلب والعبادة الباطنة.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: "مبدأ التكاليف كلها ومصدرها القلب، وصلاح الأجساد موقوف على صلاح القلوب، وفساد الأجساد موقوف على فساد القلوب" قواعد الأحكام 1/167.

وهذا الأمر قائم على ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب شرعا. انظر بدائع الفوائد 3/224.

قال عليه الصلاة والسلام: "..ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث الملك خبثت جنوده" الفتاوي 10/15.

عبودية القلب، أعظم من عبودية الجوارح

قال ابن القيم رحمه الله: "فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح، إذ هي أصلها، وأحكام الجوارح متفرعة عنها" بدائع الفوائد 3/224.

ثم قال: ".. فعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح، وأكثر وأدوم فهي واجبة في كل وقت" نفسه 3/230.

وقال كذلك: ".. أعمال القلوب التي فرضها (أي: الله) أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديمة المنفعة أو قليلة المنفعة" مدارج السالكين 1/101.

ولما كان الأمر كذلك كان اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم في عبادات القلوب أعظم من اجتهادهم في العبادات البدنية.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "قاعدة جليلة: فأفضل الناس من سلك طريق النبي صلى الله عليه وسلم وخواص أصحابه في الإقتصاد في العبادات البدنية والاجتهاد في الأحوال القلبية، فإن سفر الآخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الأبدان" المحجة في سير الدلجة 56.

تعظيم الأمر والنهي

قال ابن القيم رحمه الله: "تعظيم الأمر والنهي ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي فإن الله تعالى ذم من لا يعظم أمره ونهيه قال سبحانه وتعالى:

{مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} نوح13

قالوا في تفسيرها:

مالكم لا تخافون لله تعالى عظمة؟!

وما أحسن ما قال شيخ الإسلام في تعظيم الأمر والنهي:

(هو أن لا يعارضا بترخص جاف ولا يعارضا بتشديد غال ولايحملا على علة توهن الانقياد).

ومعنى كلامه: **أن أول مراتب تعظيم الحق عز وجل تعظيم أمره ونهيه، وذلك أن المؤمن يعرف ربه عز وجل برسالته التي أرسل بها رسول الله إلى كافة الناس ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عز وجل واتباعه وتعظيم نهيه واجتنابه فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه دالا على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر.**

فإن الرجل قد يتعاطى فعل الأمر لنظرالخلق وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع على المناهي، فهذا ليس فعله وتركه صادرا عن تعظيم الأمر والنهي ولا تعظيم الآمر الناهي" الوابل الصيب20 بتصرف يسير -صحيحه-

سنة مهجورة

الله الله يا معاشر أهل السنة في إحياء السنة المهجورة المتروكة، وبيانها للأمة- بضوابط ذلك وشروطه- فإن فعل هذا من أهم الواجبات، وآكد الأمور المناطة بكم فشمروا عن سواعد الجد، وانصروا هذا الدين، وأيقنوا أن العاقبة للمتقين.

قال عبد الله بن الحسن: "**قلت للوليد بن مسلم ما إظهار العلم؟ قال: إظهار السنة، إظهار السنة**" الاعتصام 1/220.

في الحديث عن نوفل بن معاوية وجبلة بن حارثة رضي الله عنهما قال عليه الصلاة والسلام: "إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ (قل يا أيها الكافرون) ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك" صحيح الجامع رقم:292.

قال المناوي رحمه الله: "(إذا أخذت) أي أتيت كما في خبر البراء (مضجعك) بفتح الجيم وكسرها محل نومك والمضجع موضع الضجوع يعني وضعت جنبك بالأرض لتنام (من الليل) بيان لزمن الاضطجاع، وذكره للغالب، فالنهار كذلك فيما أظن بل يظهر أنه لو أراد النوم قاعداً كان كذلك (فاقرأ) ندباً سورة (قل يا أيها الكافرون) أي السورة التي أولها كذلك (ثم نم على خاتمتها) أي نم على خاتمة قراءتك لها أو اجعلها خاتمة كلامك ثم نم (فإنها) أي السورة المذكورة (براءة من الشرك) أي متضمنة للبراءة من الشرك وهو عبادة الأوثان لأن الجملتين الأوليتين لنفي عبادة غير الله تعالى حالاً والأخيرتين لنفي العبادة مآلاً عند البغوي وعاكسه القاضي وأطال أبو حيان في الانتصار للأول" فيض القدير 1/251.

إحذروا من "يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ"

الخراصون -على تنوع أصنافهم، من علمانيين ومبتدعين، وفي كل أطوارهم وجميع مراحلهم- يقصدون اختراق الصفوف، ونشر الشبهات، والتأثير على ضعاف الإيمان، وإرباك البنيان الإسلامي ببث الفتن المضلة.

اتخذوا بطر الحق وغمط الناس سلما إلى ما يحبونه من الباطل، ونفقا لترويج رأيهم العاطل.

قصر في العلم باعهم، وطال في الجهل وأذى المسلمين ذراعهم فاحذروهم.

{لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} التوبة47.

والمعنى: لو خرج أيها المؤمنون فيكم هؤلاء المنافقون "مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً" أي: فسادا وضرا وشرا ونميمة وإيقاعا للاختلاف والأراجيف والجبن والفشل بتهويل الأمر.

انظر تفسير الطبري والبغوي رحمهما الله والجامع لأحكام القرءان.

"ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ" أي: لأسرعوا السير والمشي بينكم بالبغضاء والفتنة، ولسعوا بالإفساد بما يختلقونه من الأكاذيب المشتملة على الإرجاف والنمائم الموجبة لفساد ذات البين.

انظر الجامع لأحكام القرآن وفتح القدير.

"يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ" يحاولون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم.

الكشاف للزمخشري.

مع العلم أن أمر هؤلاء قائم على استغلال عنصرين أساسين:

- **أولهما**: جهل عامة الناس بالحقائق أو عدم وضوحها لديهم.
- ثانيهما: حالة القلق والخوف والترقب.

ثم قال تعالى "وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ" قيل المعنى: نماموِن يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم.

وقيل: فيكم قوم يسمعون المنافقين ويطيعونهم. انظر الكشاف وتفسير الطبري.

"وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ" علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما يتأتى منهم فيما سيأتي، فالله بذلك يعلم عباده كيف يحذرونهم ويبين لهم من المفاسد الناشئة من مخالطتهم.

انظر تفسير أبي السعود وتيسير الكريم الرحمن.

ألا أدلك على ما هو أكثر من ذكرك الله الليل مع النهار؟

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: "ألا أدلك على ما هو أكثر من ذكرك الله الليل مع النهار؟ تقول: الحمد لله عدد ما خلق الحمد لله ملء ما خلق الحمد لله عدد ما في السموات وما في الأرض الحمد لله عدد ما أحصى كتابه و الحمد لله على ما أحصى كتابه و الحمد لله عدد كل شيء و الحمد لله ملء كل شيء و تسبح الله مثلهن تعلمهن و علمهن عقبك من بعدك".

قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم:2615 في صحيح الجامع.

آية من كتاب الله تعالى

قال تعالى: "قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُم إِنَّ اللهَ خبيرُ بمِا يَصنَعُونَ" (النور:30)

مادة الغض تفيد معنى الخفض والنقص.

فغض البصر: هو عبارة عن ترك التحديق واستيفاء النظر.

فتارة يكون ذلك لأن في الطرف كسرا وفتورا خلقيين.

وتارة يكون من مذلة.

وتارة أخرى يكون لقصد الكف عن التأمل حياء أو خجلا من الخلق.

وهذه المعاني غير مقصودة هنا، وإنما المقصود: غض البصر خوفا من الله تعالى وعقابه وامتثالا لأمره.

وقد دل الكتاب والسنة والإجماع على وجوب ذلك.

فأما الكتاب فهذه الآية وغيرها كثير.

وأما السنة: فقد أخرج البخاري ومسلم عن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "إيَّاكُمْ وَالجلُوسَ في الطُّرُقَاتِ!" فقالوا: يَا رَسُول الله، مَا لنا مِنْ مَجالِسِنا بُدٌّ، نتحدث فِيهَا، فَقَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "فَإذَا أبَيْتُمْ إلاَّ المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّريقَ حَقَّهُس، قالوا: وما حَقُّ الطَّريقِ يَا رسولَ الله؟ قَالَ:"غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأمْرُ بِالمَعْرُوفِ، والنَّهيُ عن المُنْكَر".

وأما الإجماع: قال ابن حزم رحمه الله: "واتفقوا على وجوب غض البصر عن غير الحريمة والزوجة والأمة، إلا من أراد نكاح امرأة حل له أن ينظرها".

وقال أبو بكر العامري: "إن الذي أجمعت عليه الأمة، واتفق عليه علماء السلف والخلف من الفقهاء والأئمة: هو نظر الأجانب من الرجال والنساء بعضهم إلى بعض، وهم من ليس بينهم رحم من النسب، ولا محرم من سبب كالرضاع وغيره، فَهؤلاء حرام نظر بعضهم إلى بعض".

الاستعاذة بالله (فضلها ومواطنها)

بقلم: سعيد البحراوي

في زمن كثرت فيه شياطين الإنس والجن تدعو الناس إلى مختلف السبل الشيطانية وتصده عن سبيل الله القويم، أصبح من الواجب على من عرف طريق الحق والرشاد أن يكثر من اللجوء إلى الله تعالى والاستعاذة به سبحانه فهو القوي الذي يجير ولا يجار عليه.

والاستعاذة هي: الاستجارة، ومعنى (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) أستجير بالله دون غيره من سائر خلقه من الشيطان أن يضرني في ديني، أو يصدني عن حق يلزمني لربي. جامع البيان للطبري(61/1).

وقد ربط الحق سبحانه وتعالى الاستعاذة بالوسواس الخناس، فأينما وجد الإنسان وسوسة لجأ إلى الله يذكره، فالشيطان والرحمن لا يجتمعان في نفس امرئ، وهذا ما تبيّنه سورة الناس، والتي تسمى هي وأختها (الفلق) المعوذتان وغرض هاتين المعوذتين "تعليم النبي صلى الله عليه وسلم كلمات للتعوذ بالله من شرّ ما يُتقى شرّه من المخلوقات الشريرة، والأوقات التي يكثر فيها حدوث الشرّ، والأحوال التي تستَر أفعال الشرّ من ورائها، لئلا يُرمى فاعلها بتبعتها، فعلّم الله نبيه هتين المعوّذتين ليتعوذ بهما، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بهذه السور، ويأمر أصحابه بالتعوذ بهما، فكان التعوذ بهما من سنة المسلمين" التحرير والتنوير لابن عاشور(625/15)

يأتي الأمر بالاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم في كتاب الله على هيئة تدل على استمرارية هذا السلاح الرباني، ووجوب ملازمته للمسلم كلما نخسه الشيطان بوسوسة، قال تعالى: "وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" الأعراف، وكذا في فصلت: "وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَمِيعُ العَلِيمُ"، وقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ" الأعراف، وقوله تعالى: "فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآن فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم" النحل، فهذه الآيات تأتي كلها بأسلوب الشرط (إما، إذا) والذي يفيد لزوم وقوع جواب الشرط لوقوع فعله، فمتى أحس الإنسان بنزغ الشيطان ومسه، لجأ إلى ربه يدفع تلك الوساوس والهمزات الحاملة لخطوات الشيطان، فيخنس الشيطان بهذه الاستعاذة، وتأتي آيات أخرى على هيئة أخرى تفيد تلك الاستمرارية أيضاً، يقول تعالى: "وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونَ" المؤمنون، ويقول تعالى: "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَق" الفلق، ويقول: "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس" الناس، ويقول: "وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم" آل عمران، فالاستعاذة في هذه الآيات تأتي على صيغة المضارعة التي تفيد الاستمرارية في حدوث الفعل، فالخطاب يقول: كن دائم العوذِ بربك من همزات الشياطين، ومن شر الوسواس الخناس، ومن الشيطان الرجيم، لا تفتر عن ذلك يقول ابن القيم: "فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقاً بالعبد ألا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى، وألا يزال لهجاً بذكره، فإنه لا يُحرِّز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده، فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالى انخنس..." الوابل الصيب ص 50.

مواطن الاستعاذة

ذكر الكتاب العزيز مواطن معينة يجدر بكل مسلم أن يلجأ فيها إلى ربه لجوءاً شديداً وهذه المواطن هي:

1- الاستعاذة عند قراءة القرآن: يقول تعالى: "فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآن فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم" النحل.

2- الاستعاذة عند الغضب: يقول تعالى: "وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم" الأعراف.

3- الاستعاذة عند تكاثر الوساوس على العبد: يقول تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ" الأعراف.

4- تعويذ المولود: يقول تعالى على لسان مريم بنت عمران رضي الله عنها: ".. وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم" آل عمران.

فهذه أهم المواطن التي ينبغي على العبد أن يستجير بربه عندها، وإن كانت المواطن أكثر من أربع، ولكن القرآن أتى منها بجماعها: فقراءة القرآن تمثل الطاعات التي ينبغي على العبد أن يستجير من الشيطان عند الإقدام عليها، والغضب (النزغ) تمثل المعاصي وطرقها التي يجب على المرء أن يتحصن منها بالله، والوسوسة تمثل دواعي المعصية وممهداتها والتي ينبغي على المسلم أن يطردها بالاستعاذة، أما تعويذ المولود فهو يمثل حفظ الله وبركته لكل رزق يهبه الله للعبد، فهذه أربعٌ: الطاعة، والمعصية، والهمُّ بالشرِّ، والرزق، لا يكاد يخلو عبد عن واحدة منها، فهو في لجوء دائم إلى الله عز وجل.

وقد فصلت السنة النبوية مواطن الاستعاذة من الشيطان بما يجعل العبد دائم اللجوء إلى ربه، وأسوق هذه المواطن على سبيل الاستشهاد بها دون تفصيلها:

1- الاستعاذة عند دخول الخلاء: فعن أنس قال: "كان نبي الله صلى الله عليه وسلم: إذا دخل الخلاء قال اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث". البخاري

2- الاستعاذة عند الجماع: عن ابن عباس يبْلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضي بينهما ولد لم يضرهس البخاري

3 الاستعاذة عند سماع نهيق الحمار: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطانا". البخاري

4- تعويذ الأبناء والأهل: عن بن عباس رضي الله عنهما قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة" البخاري.

5- عند النوم والاستيقاظ منه: فعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أوى الرجل إلى فراشه أتاه ملك وشيطان، فيقول الملك اختم بخير، ويقول الشيطان اختم بشر، فان ذكر الله ثم نام باتت الملائكة تكلؤه، فان استيقظ قال الملك افتح بخير، وقال الشيطان افتح بشر، فان قال الحمد لله الذي رد على نفسي، ولم يمتها في منامها، (الحمد لله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا) إلى آخر الآية، (الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه)، فإن وقع من سريره فمات دخل الجنة" صحيح ابن حبان.

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

قرآن وسنة

الأسباب عشر المعينة على التحلي بالصبر

ناصر عبد الغفور

يعتبر الصبر من أعظم الأخلاق، بل هو لبُّها وأسُّها فكثيرة هي الأخلاق التي لا يمكن التحلي بها إلا بالصبر، كالشجاعة والحلم والصدق والعفة والجود والكرم وغيرها، ومما يدل على عظم شأن الصبر أن الله جل وعلا ذكره في سبعين موضعا من كتابه الحكيم، و قد جمع الله تعالى للصابرين ما لم يجمع لغيرهم فقال: "أولائك عليهم صلوات من ر بهم و رحمة و أولائك هم المهتدون" البقرة.

عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: "ما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر" متفق عليه، وقال صلى الله عليه وسلم: "الصبر ضياء"، قال الحسن البصري: "الصبر كنز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كَرُم عنده".

ولما كان الصبر مأمورا به جعل الله تعالى له أسبابا تعين عليه وتوصل إليه، ومن هذه الأسباب :

1- التفكر في الأجر الجزيل الذي أعده الله للصابرين، قال جل في علاه: "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب" (الزمر)، فإذا كان ثواب الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فإن الصبر جزاءه غير محدود.

2- التفكر في معية الله عز وجل، هذه المعية الخاصة التي يحضى بها الصابر، قال تعالى: "إن الله مع الصابرين" ومن كان الله معه فلا تسل عن النعمة التي حازها، كيف لا والله جل وعلا ينصره ويُوفِّقُه ويسدِّد خطاه.

3- التفكر في محبة الله للعبد، قال تعالى: "والله يحب الصابرين"، ولا ريب أن أعظم ما يرجوه العبد المؤمن في هذه الدنيا الفوز بمحبة الله له، فإن من أحبه الله، أحبه أهل السموات والأرض وجعل له القبول في الأرض، وكذلك من أحبه الله، كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها.

4 - التفكر في سرعة زوال هذه الدنيا وانقضائها، فلا يتحسر العبد على شيء يفوته فيها أو يتضجر من سيء يصيبه فيها، لأنه يعلم أن كل ذالك سرعان ما يزول وأن الآخرة هي الحيوان و الدار الباقية.

5- اليقين بأن الدنيا قنطرة ومزرعة الآخرة، وأن على العبد التزود فيها بما ينفعه في آخرته، قال تعالى: "و تزودوا فإن خير الزاد التقوى"، ولا شك أن الصبر على طاعة الله والأقدار والصبر عن معاصيه، من أعظم الزاد إلى دار القرار ومن أكبر الأسباب لدخول دار الأبرار والفوز برضا العزيز الغفار يوم ينادي المنادي "سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار".

6- الإكثار من تلاوة كتاب الله تعالى لما فيه من قصص الأولين وأخبار المرسلين الذين كان الصبر مطيتهم في الدعوة إلى الله "ولنصبرن على ما ءاذيتمونا" (إبراهيم).

فقراءة القرآن تسلية للعبد المؤمن وسبب عظيم للتحلي بالصبر خاصة أمام الابتلاءات و المحن، قال تعالى: "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء و الضراء..." الآية، (البقرة).

7- قراءة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد حاز بأعظم نصيب من هذا الخلق، وحياته كلها ابتلاءات في سبيل الله، فما وهن وما ضعف حتى أتاه اليقين، فالاطلاع على سيرته صلى الله عليه و سلم يبعث على التأسي به والاهتداء بهديه زلقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر" (الأحزاب).

8 - مطالعة سير السلف الصالح وفي مقدمتهم الصحابة -أعظم جيل عرفه التاريخ-، فقراءة سيرهم تجعلنا نقف على مواقف عظيمة تعرضوا لها فكانوا أمامها بصبرهم وإيمانهم كالجبل الأشم، "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب".

9 - مجاهدة النفس للتحلي بالصبر الذي يعتبر من أشق الأشياء على النفوس، فالنفس جُبلت على حب الشهوات، وبالتالي يصعب عليها الصبر عنِ المعاصي، والنفس تميل بطبعها إلى الراحة وبالتالي فإنها تستثقل الطاعة، والنفس ضعيفة بطبعها أمام الأقدار المؤلمة فتميل إلى الجزع أكثر من الصبر.

لكن بالمجاهدة يحصل المطلوب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ومن يتصبر يصبره الله"، وقال تعالى: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" (العنكبوت).

10 - ومن أعظم الأسباب المعينة على الصبر اللجوء إلى من قلوبُ العبادِ بين أصبعيه، وانتهاء كل شيء إليه، لعله يصادف ساعة إجابة، قال تعالى: "و قال ربكم ادعوني استجب لكم"، فعلى العبد أن يكثر من دعاء الله جل في علاه أن يوفقه للتحلي بالصبر الذي يعتبر شطر الإيمان، ومن وفق إليه فقد وفق إلى كل خير.

تربية النشء عند السلف

إنطلاقا من قول الله تبارك وتعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) التحريم، وقول النبي صلى الله عليه وسلم (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) متفق عليه. اعتنى السلف الصالح بالشباب اعتناء واضحا بينا يظهر من خلال مواقفهم العظيمة، وآرائهم السديدة، وتربيتهم الناجحة، ومن ذلك:

أولا: تربيتهم على العبادة

من توحيد وصلاة وصيام...فقد كانوا يعلمونهم قول: لا إله إلا الله، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "حافظوا علي أبنائكم في الصلاة، ثم تعوَّدوا الخير؛ فإن الخير بالعادة". و"كان عروة يأمر بنيه بالصيام إذا أطاقوه والصلاة إذا عقلوا"، ولا مانع من إعطائهم الهدايا التشجيعية على أداء الصلاة؛ فقد روت عائشة رضي الله عنها - أنهم كانوا يأخذون الصبيان من الكُتَّاب ليقوموا بهم في رمضان، ويرغبونهم في ذلك عن طريق الأطعمة الشهية، وكان بعض السلف يعطون الأطفال الهدايا التشجيعية على أداء الصلاة.

وروى البخاري ومسلم عن الربيِّع بنت مُعوِّذ قالت : (فكنا نصومه ونصوِّم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن؛ فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار).

ثانيا: تربيتهم بالقدوة

فقد ذكر ابن الجوزي عن نفسه أنه كان يتأثر ببكاء بعض شيوخه أكثر من تأثره بعلمهم. وقال عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده: "ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك؛ فإن عيونهم معقودة بك؛ فالحسن عندهم ما صنعتَ، والقبيح عندهم ما تركت".

ويحذر ابن مسكويه من ترك التربية للخدم خوفًا عليهم من أن يتأثروا بأخلاقهم وأفعالهم، وخاصة إذا كان الخدم غير ملتزمين بالإسلام كما هو في زماننا الذي فشا فيه هذا الأمر وانتشر، وكم من القصص والأحداث التي ضُيع فيها الشباب نتيجة التساهل في هذا الجانب المهم.

ثالثا: تربيتهم على العلم و الأدب و الخير

وهذا من تمام القيام بالأمانة التي وليها الوالدان، جاء في الأثر: ما نحل والد ولدًا من نحَل أفضل من أدب حسَن.

كما أن السلف كانوا يقدمون الغالي والرخيص ليرغبوا الأطفال في العلم؛ فقد روى النضر بن شميل قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: قال لي أبي: يا بنيَّ! اطلب الحديث؛ فكلما سمعت حديثًا وحفظته فلك درهم، فطلبت الحديث على هذا.

وأرسل معاوية رضي الله عنه ابنه يزيد إلى عالم، فعلمه العربية وأنساب قريش والنجوم وأنساب الناس.

ولما دفع عبد الملك ولده إلى الشعبي يؤدبهم قال: علمهم الشعر يمجدوا وينجدوا، وحسِّن شعورهم تشتد رقابهم، وجالس بهم علية الرجال يناقضوهم الكلام.

ومن الأمور التي كان يعتني بها السلف الجرأة على طرح الأفكار، والمشاركة، ويكون هذا بمجالسة العقلاء الكبار ليكبر عقله وينضج تفكيره؛ فمن الخطأ أن يمنع الصغير من حضور مجالس أهل الخبرة والتجربة، وقد مر عمرو بن العاص رضي الله عنه على حلقة من قريش فقال: "ما لكم قد طرحتم هذه الأغيْلِمة؟ لا تفعلوا! أوسعوا لهم في المجلس، وأسمعوهم الحديث، وأفهموهم إياه؛ فإنهم صغار قوم أوشك أن يكونوا كبار قوم، وقد كنتم صغار قوم فأنتم اليوم كبار قوم".

بل كان ابن شهاب الزهري رحمه الله يشجع الصغار ويقول: "لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم؛ فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يتبع حدة عقولهم".

رابعا: الاعتناء بالموهوبين والمبدعين

قال ابن القيم رحمه الله: "إذا رأى الصبي وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح وأنه لا نفاذ له من العلم ولم يخلق له، ومكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها فإنه أنفع له وللمسلمين".

ومن ذلك أن الصبي إذا كان ذا موهبة خطابية مثلا، فإن الأولى بمعلمه أن ينمي هذه الموهبة، وقد كان ابن الجوزي الواعظ من ثمار الشيخ أبي القاسم البلخي؛ فإنه علمه كلمات ثم أصعده المنبر فقالها وكان عمره ثلاث عشرة سنةٍ، قال ابن الجوزي: وحزر الجمع يومئذ بخمسين ألفا. وهو أول مجالسة رحمه الله.

وكانوا يحببون العلم إلى الصغار بالاحتفال بهم، قال أبو خبيب الكرابيسي: كان معنا ابن لأيوب السختياني في الكُتَّاب، فحذق الصبي، فأتينا منزلهم فوُضع له منبر فخطب عليه.

وقال يونس: حذق ابن لعبد الله بن الحسن فقال عبد الله: إن فلانًا قد حذق. فقال الحسن رضي الله عنه: كان الغلام إذا حذق قبل اليوم نحروا جزوراً وصنعوا طعاماً للناس.

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

أبعاد التاريـــــخ

يلمحُ القارئ لـ (التأريخ) أبعاداً كثيرة في مواضيعه، وحاصل تلك الأبعاد ثلاثة:

الأول: البُعدُ المنهجي

وذلك كون التأريخ علمٌ له أصولٌ وله قواعد تَحْكُمُ حوادثه من حيثُ القبولُ والرد، ومن حيث تحقق وقوعها وعدمها.

وهذه القواعد أُوْلِيَتْ اهتماماً من العلماء كبيراً، فنثروها وحرروها، وسلكوا في ذلك مسلكين اثنين:

أولهما: مسلك الإفراد في التصنيف.

ثانيهما: مسلك التضمين في التأليف، وبينهما فرْقٌ كبير.

فالأول: إفراد للقواعد في تصنيفٍ مستقلٍ كما فعل (ابن خلدون) في (المقدمة).

والثاني: تضمين القواعد في بعض التآليف التأريخية والسِّيَرِيَّة.

الثاني: البُعْدُ القصصي

(التأريخ) أحوال وحوادث ووقائع، وهذا نوع من القصص المَحْكِي، والخبر المروي.

وغالب القصص يكون مبناها على الخيال الواسع، والزيف البعيد، فتكاد أن تُقسمَ ببعد وقوعها حال القراءة والسماع، ثم ما تلبث أن تكون مصطدماً بكونها حكاية واقعية، وخبراً ثابتاً.

والقصص حيث كان التأريخ لصيق الشَبَه بها- تفتقر إلى مقاييس نقدٍ قصصية، وتفتقرُ إلى ذوقٍ أدبي راق.

ولا يعني هذا البُعْدُ أن التأريخ عبارة عن حكايات خيال لا مساس لها بواقع الناس، بل المَعْنَى: قوة الشبه بين الأخبار التأريخية والحكايات الخيالية فيظُنُّ القارئ أو السامع أن ذاك خبراً خيالياً.

الثالث: البُعْدُ التفسيري للتأريخ

تفسير التأريخ مُعْتَمِدٌ على ما يُضْمِرُهُ المؤرخ من اعتقاد ودين، فتراه يفسر التأريخ على حسْبِ هواه، مماشاة لنزعاته وأفكاره.

والمراد بـ (تفسير التأريخ) هو مبدأ (السببية) أي: سبب كينونة الشيء وحدوثه.

ونلحظ ذلك في اهتمامات كثير من المؤرخين بشأن أسباب نهوض الدول، وأسباب سقوطها.

ولتفسير التأريخ منهج مُحْكَمٌ يُراعى لدى دارس التأريخ.

خاطرة تاريخية

لقد كانت ظاهرة عجيبة، أن يتحول عرب الجزيرة العربية من قبائل متفرقة متناحرة، تعيش على هامش التاريخ، لا قيمة لها بين جيرانها من القوى العظمى التي كانت تستضعفها، إلى أمة جديدة تغير وجه التاريخ وتحطم أمماً وحضارات وتزلزل عروشاً وتيجاناً، وتقيم حضارة جديدة، وتضع قيماً جديدة تصهر معادن العرب وتخلق منهم رجال دولة، وقادة جيوش، وعلماء ربانيين، وأبطالاً عظماء سرعان ما يُخضعون الإمبراطوريات التي كانت تستعبدهم و تمتص خيراتهم.

لقد كان هذا الحدث العظيم من أعجب الأحداث التي عرفها الجنس البشري في تاريخه على الإطلاق، والسر يعرفه الجميع وهو بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي اختاره الله لتبليغ هذه الرسالة التي أحدثت انقلاباً في نفوس العرب وبواسطتهم في المجتمع الإنساني كله، لقد كان هذا الانقلاب غريباً في كل شيء، كان غريباً في سرعته و في عمقه و في سعته وشموله و آثاره..

فما كاد الإسلام يظهر حتى اعتنقه الناس حين رأوا فيه طوق النجاة للعالم كله من دمار محقق، ومن هنا انطلقوا في الأرض ينشرون الخير الذي أكرمهم الله به، وأعزَّهم بعد ذلٍّ، كما قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: "لقد كنا قوماً أذلاء فأعزنا الله بالإسلام.."

ولم يمض قرن ونصف منذ ظهور الإسلام سنة 611م حتى أسس المسلمون دولة عالية عظيمة إذ انتصروا على أعظم أمم الشرق والغرب، وهم الفرس والروم، وفتحوا مصر والشام، كما وصلوا إلى تركستان الغربية، بل إلى حدود الصين سنة 36 هـ على يد القائد المسلم "قتيبة بن مسلم" وانتزعوا إفريقية من القوط، بل هددوا فرنسا في الغرب والقسطنطينية في الشرق، ومخرت أساطيلهم التي بنيت بالإسكندرية وموانئ الشام ومياه البحر الأبيض المتوسط حتى وصلت إلى جزر اليونان، وتحدت الإمبراطورية البيزنطية سيدة البحار في وقتها.

وامتد التوسع الإسلامي في أوروبا حتى توقف إلى حين، بهزيمة عبد الرحمن الغافقي والي إسبانيا على يد "شارل مارتيل" زعيم مملكة الفرنجة في موقعة "بواتيه" قرب مدينة "تور" الفرنسية سنة 110هـ/733م، وهي المعركة المعروفة باسم معركة بلاط الشهداء..

ولولا هذه الهزيمة، لكان للتاريخ الإسلامي شأن غير ما كان، فقد أوصدت أمام المسلمين أوروبا من ناحية الغرب وكان في نيتهم أن ينشروا الخير والعدل في أوروبا كلها، بحيث يصلون إلى القسطنطينية من ناحية غرب أوروبا.

واستمرت فتوحات الخير والنور على جبهات أخرى فقد حاولوا فتح روما سنة 847 م، ثم فتحوا خرسان في أواخر القرن العاشر الميلادي، واستمروا في فتوحاتهم حتى استولوا على مدينة القسطنطينية على يد القائد المسلم محمد بن مراد (محمد الفاتح) وهو ابن أربع وعشرين سنة عام 857هـ/1453م.

وفي سنة 1522م فتح المسلمون في عهد سليمان القانوني بلغراد، وفي سنة 1529م حاصر المسلمون فيينا "عاصمة النمسا"، وفي سنة 1537م طرد المسلمون البرتغاليين من بحر الهند وكان هذا هو أعلى مد للتيار الإسلامي الذي بدأ في الانحسار بعد ذلك.

وهكذا أسس المسلمون إمبراطورية إسلامية نشرت الإسلام من تخوم الصين حتى أواسط أفريقيا جنوباً، وكانوا سادة البحر المتوسط من غير نزاع حتى جعلوه بحيرة إسلامية فلا يباح دخوله لأجنبي، وأنشأوا أسطولاً عظيماً عجزت عن سحقه كل أساطيل البندقية وإسبانيا والبرتغال 945هـ/1457م.

ولم تكن هذه الفتوحات العظيمة من أجل دنيا، ولا مال، ولا أرض، ولا سلطان، ولا من أجل سلب أو نهب أو استعمار، وإنما كانت من أجل هدف أسمى وغاية أرقى من كل ذلك. لقد كانت الفتوحات الإسلامية من أجْل إعلاء كلمة الله في الأرض والقضاء على هذه طغيان الكنائس التي عبّدت الناس لها، ولتحرير الأرقاء والشعوب المستضعفة وإخراجها من عبادة الأكاسرة والقياصرة إلى عبادة الله الواحد الذي يستحق العبادة، وإخراج الناس من ظلم الأديان المحرفة إلى عدل الإسلام وأمنه، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، كما ورد في إجابة "ربعي بن عامر" و"حذيفة بن محصن" و"المغيرة بن شعبة" حين أرسل إليهم "رستم" قائد الفرس ليسألهم عن سر مجيئهم وحروبهم، وجّه هذا السؤال إلى هؤلاء الأبطال الثلاثة في ثلاثة أيام متوالية فكان الجواب هو: "الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه فمن قبله منا قبلناه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه، ومن أبى قاتلناه حتى نفض إلى الجنة أو الظفر".

صورة مشرقة

"رجاء ملك الإنجليز -ريتشارد قلب الأسد- إلى قائد المسلمين صلاح الدين"

من "ريتشارد" قلب الأسد ملك الإنجليز، إلى صلاح الدين الأيوبي ملك العرب أيها المولى: حامل خطابي هذا، بطل صنديد، لاقى أبطالكم في ميادين الوغى، وأبلى في القتال البلاء الحسن. وقد وقعت أخته أسيرة، فساقها رجالكم إلى قصركم وغيروا اسمها، فقد كان اسمها "ماري" فأطلق عليها اسم ثريا. وإنّ لملك الإنجليز رجاء يتقدم به إلى ملك العرب، وهو إما أن تعيدوا إلى الأخ أخته، وإما أن تحتفظوا به أسيرا معها، لا تفرقوا بينهما، ولا تحكموا على عصفور أن يعيش بعيدا عن أليفه. وفيما أنا بانتظار قراركم بهذا الشأن، أذكركم بقول الخليفة عمر بن الخطاب، وقد سمعته من صديقي الأمير حارث اللبناني وهو: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"، فكان جواب السلطان الناصر يوسف صلاح الدين: "من سلطان المسلمين صلاح الدين إلى "ريتشارد" ملك الإنجليز أيها المولى: صافحت البطل الباسل الذي أوفدتموه رسولا إلي، فليحمل إليكم المصافحة ممن عرف قدركم في ميادين القتال. وإني لأحب أن تعلموا، بأنني لن أحتفظ بالأخ أسيرا مع أخته، لأننا لا نبقي في بيوتنا إلا أسلاب المعارك. لقد أعدنا للأخ أخته. وإذا عمل صلاح الدين بقول عمر بن الخطاب، فلكي يعمل "ريتشارد" بقول عيسى: "فرد أيها المولى الأرض التي اغتصبتها إلى أصحابها، عملا بوصية السيد المسيح عليه السلام".

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

واحة الأدب

قصيدة من شعرأبي زيد عبد الرحمن بن أبي سعيد يخلفتن الفازازي المغربي

إعداد
إبراهيم الوزاني

ترجمة أبي زيد عبد الرحمن الفازازي

هو أبو زيد عبد الرحمن بن أبي سعيد يخلفتن بن أحمد بن تنفليت الفازازي، نسبة إلى جبل فازاز بمكناسة الزيتون، وإليه ينتمي أصله وتنسب أسرته إلى يجبش أو يخفش وهم من زناتة.

ولد ونشأ الأديب بعد الخمسين والخمسمائة، في قرطبة على قول ابن الأبار، وقال ابن الزبير منشؤه في مراكش، وهناك رواية أخرى لا تناقض رواية ابن الأبار وإن كانت تجعلها أكثر تحديداً، لأنها تفيد أن الفازازي تعلم في تلمسان قبل سنة 576 هـ على يد أبي عبد الله التجيبي المتوفي سنة 610هـ، فقد جاء في زنفح الطيس أن التجيبي المذكور أول من سمع عنه الفازازي في حياة الحافظ السِّلفي إذ قدم عليهم تلمسان.

وإذا كان سماع الفازازي من التجيبي بتلمسان قبل سنة 576هـ أمراً قوّى الاحتمال فإن ارتباط الفازازي بهذه المدينة في زمن الصبا بل وزمن الطفولة المتأخرة أمراً يكاد يبلغ أرقى درجات التأكيد، فهو قد ولد بعد الخمسين والخمسمائة ولا يفصل هذا الرقم عن سنة 576هـ التي سبقت الإشارة إليها سوى عشرين سنة تساوي في العادة بداية سن الرشد.

انتقل الفازازي من تلمسان بعد ذلك إلى فاس، ومنها راسل أصدقاءه التلمسانيين في أسلوب رصين وفكر واع، ينم عن طور متقدم في السن والعقل، وقدر من البلاغة والأدب لا يصدر عن فتى صغير، فمن ذلك قوله: (كتبت دامت كرمة سيدي الفقيه، والأخ الذي أفديه بالنفائس وأفيه، من حضرة فاس - حرسها الله - والحال جميلة صالحة، وألطاف المولى سبحانه غادية رائحة) وكتب شعراً:

كيف حال امرئ تشطّ تلمســـ ـــان عليه وقد أقم بفـــاس
لم يكن ما لقيته مذ تناءيـــت من الوجود جاريا بقيـــاس

ولعله أخذ في هذه المدينة عن شيخه علي بن عتيق المتوفى بها سنة 598 وغيره، ثم انتقل من فاس دون أن نجد الكثير عن أخباره فيها، حيث ما لبث أن دخل الأندلس وتجول في ربوعها، يطلب العلم حيناً ويكتب للولاة أحياناً، ويؤلف المجموعات الشعرية والنثرية ذات الطابع الديني، ويتولى الرواية فيما ألفه أو رواه عن شيوخه، ومن الثابت في تلك الفترة أنه أقام في أشبيلية وقرطبة ومالقة وغرناطة وربما غيرها أيضاً.

والتقى الحافظين الشهيرين أبا زيد السّهيلي المتوفي سنة 581هـ وأبا عبد الله ابن الفخار المتوفي سنة 590هـ فأخذ عنهما كما أخذ عن الكثير من الأندلسيين والمغاربة، ومن شيوخه كذلك ابن الفخار، وأخذ عن أعلام من فقهاء ومحدثي القرن السابع من أمثال أبي الوليد اليزيد بن عبد الرحمن بن بقي القاضي، وابن خلف الحافظ، وأبي الحسن الصائغ، وأبي الصبر السبتي وأبي محمد بن عبيد الله وأبا الحسن جابر بن أحمد القرشي التاريخي. كما كان يملي خطباً وأشعاراً على الواعظ ابن الحجام.

وقد صحب شاعرنا أبا العلاء الموحدي إلى قرطبة سنة 614هـ ، ولقيه الرعيني هناك في هذه السنة فاشتركا معاً في الكتابة في قرطبة وإشبيلية، ثم غادر قرطبة إلى مالقا ومكث فيها صحبة مخدومه حتى سنة 620 هـ، وفي سنة 621هـ عاد إلى قرطبة، على أن جفوة بدت بين الفازازي وأبي العلاء لعلها نجمت عن استعانة المأمون بالروم على قتال المسلمين وإعطائهم شروطاً مهينة منها الموافقة على منحهم عشرة حصون وبناء كنيسة لهم، ولعلها كانت بسبب تبرمه من الخدمة لدى السلطان وإحساس أبي العلاء بثقل التبرم في مثل قوله :(والعبد بحكمة القدر محكوم وإلى مضمة القصر مضموم ولو أني ملكت يديٍ ونفسي، وصرفت باختياري عقلي وحسي، لما نقلت قدماً فيما يعقب ندماً، ولا قضيت وطراً مما يركب خطراً).

فلم يكن تبرمه بالخدمة خافياً ولاطارئاً، إذ قد سجله المؤرخون في تراجمه لكثرة جريانه على لسانه، قال ابن الخطيب :(وكان متلبساً بالكتابة عن الولاة والأمراء ملتزماً بذلك كارهاً له، حريصاً على الانقطاع عنه). وقال تلميذه الرعيني أنه كان (متبرماً بتَنَشُّبه في الخدمة).

وأياً كانت أسباب الَجفوَة فقد جعلت أبا العلاء المأمون يأمره بالتزام بيته شهوراً طويلة من سنة 626هـ حتى قال ابن الأبار (دخلت قرطبة واشبيلية في وقتين مختلفين وهو بهما إذ ذاك، فلم أقدر في أحدهما على الوصول إليه لإلزامه داره بجفوة نالته من السلطان وذلك في سنة 626هـ) وفي نثره إشارة إلى لزومه البيت لعلها تومئ إلى هذه الفترة، يقول فيها :(وها أنا الآن حِلس البيت، وحيّ في معنى الميت، عاقتني من لجج الطير عوائق، وحالت بيني وبين الحدائق وأين الحدائق؟ وأما الناس فالجنسية معدومة ووراء هذه الإشارة أمور مكتومة).

وفي آخر هذا العام سافر إلى مراكش بطلب من المأمون وكان ذلك دليلاً على نهاية العقوبة وزوال الجفوة، قال ابن الخطيب (استقدمه المأمون على حال وحشة كانت بينه وبينه، فورد ورود الرضا على مراكش في شعبان سنة 627 هـ).

توفي الفازازي - رحمه الله - بمراكش في شهر ذي القعدة سنة 627هـ أي بعد حوالي ثلاثة أشهر من قدومه إليها، ذكر ذلك أوثق الرواة وأقربهم لعصر الأديب فلا عبرة برواية من قال إن وفاته كانت سنة 624هـ.

لقد كان شاعرنا بارعا في نظم الكلام ومنثوره، وفي هذا يقول عنه أحد تلاميذه: "..مقتطف أزهار البلاغة، ومغترف بحارها العذبة المستساغة، محبّر خطاباتها البارعة، ومحرر أغراضها الرائعة..كما ملأ بحِكم الكلم خلده، من نثر كما نثر الذهب المنتهب، ونظم كما نظم الدر المنتخب، يمدها الفكر بحيا البلاغة المتدفق، ويسبق بهما الطبع المنقاد بادرة المنطق، أما المنظوم فإنه لطيف الاستعارة، خفيف العبارة، قد أسست على انطباع الطبع مجانيه، وسلمت من التكلّف ألفاظه ومعانيه، ناهيك من حكم نسجها الخاطر، ونسقها في سلك المآثر والمفاخر. وأما المنثور فالروض المنسق، والماء المروّق، والرحيق المعتق، والرونق الذي لا يذهبُ الزمان جدَّته ولا يخلق..".

ومن منثور كلامه - رحمه الله - الذي يدل على حكمته وفصاحته وبيانه، قوله: "..وقد وعظنا لو نتعظ، واختلفت بيننا سهام المنية ونحن لا نحتفظ، وإنَّا لله على قلوب عميت بصائرها، وخبثت سرائرها، ووقف على الدُّنيا الدنية سمعها وناظرها".

وأما قصيدته التي اخترناها لكم من ديوانه - رحمه الله -، فهي قصيدة يُصبِّر فيها على المكروه المقدور، ويحضّ على ترقب الفرج المنتظر، ويذكر قصة يوسف عليه الصلاة والسلام.

لا تجْزعَنَّ لمكروه تصابُ بـهِ

لا تجزعنّ لمكروه تصابُ بـهِ ... فقد يُؤدِّيكَ نحو الصّحة المـرضُ
واعلم بأنّك عبد لا فكاك لـه ... والعبد ليس على مولاه يعترضُ
فسلِّم الأمر تسلم في عواقبـه ... وارض القضاء فقد فاز الذين رضُوا
وإن غدت أزمة فاصبر لشدّتها ... إنّ الشدائد تأتي ثم تنقرضُ
والعُسر يتلوه يُسْر إن صبرت له ... ضدَّان هذا وهذا عندنا عرضُ
والعيشُ كالحُلم أضغاثٌ منوّعة ... وسوف يلحق بالإيقاظ مغتمضُ
يا من تسخّط ما يجري القضاءُ به ... كم أنت في سنن الهلاك ترتكضُ
إن ارتماضك(1) مما لا دفاع لـه ... شؤم عليك فكم ذا أنت ترتمضُ
سفين صبرك نحو الأمر يدفعها ... فاصبر قليلا فمن قدّامك فُرَضُ(2)
في شأن يوسف إن فكّرت معتبر ... وهو الدليل الذي ما فيه معترضُ
لاقى الشدائِدَ بالتّسليم منتظرا ... لطف الإله ولم يظهر له مضضُ
وكم أرادت زليخا صرف خاطرهِ ... إلى هواها ببسط وهو ينقبضُ
وآثر السجن إرضاء لخالقه ... ولم يزل به في خطره دَّحضُ(3)
عناية الله تحميه وعصمته ... فما يتمّ لشيطان به غرضُ
من كان ظاهره نورا وباطنه ... لم يلف في ظلمات الجهل ينتهضُ
لما رأى الله منه صدق باطنه ... وأنَّ حَبل تقاه ليس ينتقضُ
كانت عبارته الرؤيا له سببا ... للملك والناس في أهوائهم فضضُ(4)
ومُلّك الأمرَ يطويه وينشرُه ... فالبذل في يده والقبْضُ قبَضُ(5)
وجاء إخوته طوعا ووالده ... شوقا له وهو مما ناله جرضُ(6)
فجمّع الشملَ ربٌّ كان فرّقه ... وليس لله في الحالين معترضُ
ومن يكن تاركا شيئا لخالقه ... فسوف يرضيه من متروكه العِوَضُ
إنَّا لنذكر أوصافًا مكرّمة ... ونحن لا حَبَضٌ(7) فينا ولا بضُ
سُنّتْ علينا فلم نصلح للبستها ... والطير من بلَلِ الأمطار ينتفضُ
بتنا نخادع بالأطماع أنفسنا ... وكلُّنا للرزايا والأسى غرضُ
ما نحن ناس إذا حققت حالتنا ... وإنما الناس قوم قبلنا انقرضُوا

1- ارتمض: قلق وحزن .
2- الفرض: ج فرضة، وهي محط السفن في البحر.
3- الدَّحـضُ: الازلاق والزلل .
4- فضضُ: متفرقون.
5- القَبْضُ: الأخذ، والقَبَضُ: ما قبض من أموال الناس.
6- الجرضُ: المغموم.
7- لا حَبَضٌ: لا حراك.

من مشكاة النبوة

عن طارق بن شهاب قال: قال رجل من اليهود لعمر: يا أمير المؤمنين، لو أن علينا نزلت هذه الآية: "اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً"، لاتَّخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال عمر: إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة، في يوم جمعة.

عن ابن شهاب: أخبرني أنس بن مالك: أنه سمع عمر، الغد حين بايع المسلمون أبا بكر، واستوى على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، تشهَّد قبل أبي بكر فقال: أمَّا بعد، فاختار الله لرسوله صلى الله عليه وسلم الذي عنده على الذي عندكم، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسولكم، فخذوا به تهتدوا لما هدى الله به رسوله.

عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى"، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: "من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى".

عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعينيَّ، وإني أنا النذير العُريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذَّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذَّب بما جئت به من الحق".

عن عبد الله بن دينار: أن عبد الله بن عمر كتب إلى عبد الملك بن مروان يبايعه: وأقرُّ بذلك بالسمع والطاعة على سنَّة الله وسنَّة رسوله فيما استطعت.

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من الأنبياء نبيٌّ إلاَّ أُعطيَ من الآيات ما مثله أومن، أو آمن، عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أنّي أكثرهم تابعاً يوم القيامة".

وقول الله تعالى: "واجعلنا للمتقين إماماً" الفرقان، قال: أئمَّة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا.

وقال ابن عون: ثلاث أحبُّهنَّ لنفسي ولأخواني: هذه السنَّة أن يتعلَّموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهَّموه ويسألوا عنه، ويدَعوا الناس إلا من خير.

حدثنا عليُّ بن عبد الله: حدثنا سفيان قال: سألت الأعمش فقال: عن زيد بن وهب: سمعت حذيفة يقول: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنَّ الأمانة نزلت من السماء في جذر قلوب الرجال، ونزل القرآن فقرؤوا القرآن، وعلموا من السنَّة".

دلائل محبة النبي صلى الله عليه وسلم

رأس الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارضة بخيال باطل يسميه معقولا، أو يحمله شبهة أو شكا، أويقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والاذعان، كما وحد المرسل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

محبة النبي صلى الله عليه وسلم درجتان:

إحداهما: فرض، وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى، وتلقيه بالمحبة والرضى والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية.

وثانيهما: فضل، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به، وتحقيق الاقتداء بسنته، وأخلاقه، وآدابه، ونوافله، وتطوعاته، وأكله وشربه، ولباسه، وحسن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة، وأخلاقه الطاهرة.

فمن دلائل محبته وتعظيمه، تقديمه وتفضيله على كل أحد، فقد فضله الله تعالى على جميع الخلق أولهم وآخرهم، فهو خاتم الأنبياء وإمامهم وسيدهم؛ قال صلوات الله عليه وسلامه: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من ينشق عليه القبر، وأول شافع، وأول مشفع". رواه مسلم

وينتج عن هذا الاعتقاد، استشعار هيبته، وجلال قدره، وعظيم شأنه، والمعاني الجالبة لحبه وإجلاله، وكل ما من شأنه أن يجعل القلب ذاكرا لحقه من التوقير والتعزير، ومعترفا به ومذعنا له.

سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظما".

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقته لأني لم أكن أملأ عينيي منه.

ومنه سلوك الأدب معه صلى الله عليه وسلم، بالثناء عليه بما هو أهله، وأبلغ ذلك ما أثنى عليه ربه عز وجل به، وما أثنى هو على نفسه به؛ وأفضل ذلك:

الصلاة والسلام عليه، لأمر الله تعالى وتوكيده:

وهذا إخبار من الله تعالى بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى.

ومنه الاكثار من ذكره، والتشوق لرؤيته وتعداد فضائله وخصائصه ومعجزاته ودلائل نبوته، وتعريف الناس بسنته وتعليمهم إياها.

قال ابن القيم رحمه الله: "كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه، تضاعف حبه له، وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه.

ومنه التأدب عند ذكره صلى الله عليه وسلم بأن لا يذكر باسمه مجردا، بل بوصف النبوة أو الرسالة، وهذا كما كان أدبا للصحابة - رضي الله عنهم - في ندائه فهو أدب لهم ولغيرهم عند ذكره صلى الله عليه وسلم ، فلا يقال: محمد، ولكن: نبي الله، أو الرسول، ونحو ذلك.

ومنه توقير حديثه، والتأدب عند سماعه، والوقار عند دراسته؛ وقد كان لسلف الأمة وعلمائها عموما والمحدثين خصوصا منهج رصين، ورصيد ثري، وإسهام قوي في إجلال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوقير مجلس الحديث، والتحفز لاستباق العمل به تعظيما له.

قال أبو سلمة الخزاعي: كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج (لـ)يُحَدِّث توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، ولبس قلنسوة، ومشط لحيته! فقيل له في ذلك، فقال: أوقر به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومر مالك بن أنس على أبي حازم وهو يحدث فجازه، وقال: إني لم أجد موضعا أجلس فيه، فكرهت أن آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم.

فجماع الأمر "ورأس الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارضة بخيال باطل يسميه معقولا، أو يحمله شبهة أو شكا، أويقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والاذعان، كما وحد المرسل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل".

واعلم أن الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته، آية عظيمة من آيات المحبة والإجلال، قال تعالى: "لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ " الحشر8.

ومنه الذب عن عرضه وعرض زوجاته الطاهرات المطهرات، فالوقيعة فيهن واتهامهن بالباطل من أعظم الإيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم ولهذا قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: "يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" النور17.

يعني في عائشة لأن مثله لا يكون إلا نظير القول في المقول عنه بعينه، أو فيمن كان في مرتبته من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، لما في ذلك من أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرضه وأهله، وذلك كفر من فاعله.

ومنه الذب عن سنته بالرد على شبهات المستهزئين بما ثبت من هديه في القول والفعل والاعتقاد، كاستهزاء بعضهم بالحجاب، أو اللحية، أو برفع الإزار فوق الكعبين، أو السواك، ونحوها.

قال تعالى: "لَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ" التوبة65.

فالتهاون في الذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته من الخذلان الذي يدل على ضعف الإيمان، أو زواله بالكلية، فمن ادعى الحب ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمته وعرضه وسنته، فهو كاذب في دعواه.

قال محمد بن المرتضى اليماني: المحامي عن السنة الذاب عن حماها كالمجاهد في سبيل الله تعالى يعد للجهاد ما استطاع من الآلات والعدد والقوة، كما قال الله سبحانه: "وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ" الأنفال60

وقد ثبت في الصحيح أن جبريل عليه السلام كان مع حسان بن ثابت يؤيده ما نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشعاره، فكذلك من ذب عن دينه وسنته من بعده إيمانا به، وحبا ونصحا له.

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

ثقافة التلبيس
مصطلح: "الآخر"

بقلم: سليمان بنصالح

وما نقرؤه وما نسمعه من اتهام للعلماء الذين يردّون على المخالفين بأنهم يحتكرون الصواب لهم، ويخطئون مَن خالفهم، وأنهم يصادرون الآراء والأفكار .. إلى آخر ما يقال؛ فهو اتهام باطل؛ فإن العلماء المعتبرين لا يحتكرون الصواب في أقوالهم، وإنما يخطئون مَن خالف الدليل، وأراد قلب الحقائق؛ فيردّون على مَن هذه صفته عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم". وقد ردّ الله سبحانه وتعالى على أهل الضلال في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، وشرع لنا الردّ عليهم؛ إحقاقاً للحق، وإزهاقاً للباطل. ولولا ذلك لشاع الضلال في الأرض، وخفي الحق، وصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً.

مع الحملة العسكرية المتصاعدة التي ابتدأتها راعية الصليب في العصر الحاضر على بعض الدول الإسلامية، والتي يُنتظر -حسب ما يخطط له الصليبيون والصهيونيون- أن تعم دول العالم الإسلامي -عرباً وعجماً- بدأ يكثر الكلام وترتفع الأصوات في وسائل النشر المتعددة بالحديث عن "الآخر"، حتى أصبح هذا اللفظ بمثابة مصطلح يُتداول بين الكتاب، وفي المناقشات والحوارات، وبدأت تغزو أسماعنا مقولات: "ما الموقف من الآخر" و"العلاقة بالآخر" وسينبغي أن لا تنفي الآخرس و"ينبغي التسامح مع الآخر"، "التعاون مع الآخر" ولابد أن يكون هناك "موقف حضاري وتعددي من الآخر" ومطلوب "القبول بالتعددية والاعتراف بالآخر" و"الاعتراف بحق الآخر في التعبير عن وجوده، وأفكاره بعيداً عن ضغوط الإكراه وموجات النفي والإلغاء" و"إعادة الاعتبار إلى الآخر وجوداً ورأياً ومشاعر" و"اكتشاف العناصر والمفردات الداخلية والخارجية التي تضيق الهوة مع الآخر".

تلك عينة من العينات التي باتت تتردد على ألسنة الكثير من الكتاب والكاتبات، والمقصود بالآخر في هذا الكلام "غير المسلم" أي الكتابي أو الكافر، وهذا الكلام موجه للمسلمين، ومن يطالعه يُخيَّل إليه من النظرة الأولى أن المسلمين جماعة من المتخلفين المتوحشين الذين يعيشون حياة بعيدة عن معاني الرقي والتمدن والحضارة!! وأنهم لا ينظرون إلا لأنفسهم إما جهلاً وانغلاقاً، وإما تجبراً وكبراً، ثم يدلي كلٌّ من هؤلاء الكتاب والمتحدثين برأيه في تعليم المسلمين كيف يكونون متحضرين متقدمين في تعاملهم مع "الآخر" وفي النظرة إلى "الآخر" وموقفهم من "أفكار الآخر"! وسنحاول بعون الله أن نلقي الضوء على هذه القضية على النحو التالي:

من "الآخر" ؟!

كثير من المواطن المطروحة للنقاش في هذا الموضوع تذكر كلمة "الآخر" دون بيان المراد منها، وفي بعضها يُبين أن المراد هو "غير الإسلامي"، ولفظ "الآخر" لغةً لا يحمل قيمة دلالية تتعدى أو تتجاوز معنى لفظ "غير" دون أن يكون في ذلك دلالة على المخالفة أو الموافقة؛ فالآخر قد يكون منا، وقد يكون من غيرنا؛ قال الله تعالى: "وآخرين منهم لما يلحقوا بهم"، قال ابن جرير: "عني بذلك كل لاحق لحق بالذين كانوا صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم في إسلامهم من أي الأجناس؛ لأن الله عز وجل عمَّ بقوله : (وآخرين منهم)"؛ فهنا وصف "الآخر" بأنه منهم، مما يعني أن "الآخر" قد يراد به المخالف، كما يراد به الموافق، وعلى ذلك فإن هذا اللفظ واسع المعنى يشتمل على أنواع متعددة من الموافقة والمخالفة على تعدد درجاتها، وحينئذ لا ينبغي أن يساق الحديث عن "الآخر" مساقاً واحداً؛ بحيث يعم الجميع بحكم واحد أو موقف واحد.

وقد ظهرت مواقف كثيرة قدمت فيها أوراق وبحوث أغلبها ينطلق من الحديث عن "الآخر" بغير تفريق بين أنواعه، والسلوك الذي يوصف بأنه علمي يستوجب التفصيل حتى لا يكون هناك تجاوز في الأحكام والمواقف.

أنواع "الآخر":

"الآخر" قد يكون كافراً، وقد يكون مسلماً، والكافر أنواع: فمنه الكافر الحربي، والكافر الذمي، والكافر المعاهد.

والمسلم أنواع: فمنه المسلم الذي هو من أهل السنة والجماعة، ومنه من هو من أهل البدعة والضلالة، والبدع منها الغليظة المكفِّرة ومنها دون ذلك؛ وإزاء هذا التباين الشديد؛ فإن سَوْق الكلام عن "الآخر" سوقاً واحداً فيه ظلم كبير، وتجاوز للصواب بيقين، وهو مُوقِع في أحد الأطراف: إما الإفراط، وإما التفريط، وقديماً قالوا: (كلا طرفي قصد الأمور ذميم) (ا.هـ من مقال الأستاذ محمد شاكر الشريف بمجلة البيان، العدد 206 بتصرف يسير).

قلتُ: ولكل ممن ذكره الأستاذ وفقه الله أحكامه التي تخصه؛ فالتعامل مع الكافر الحربي يختلف عن التعامل مع الكافر الذمي أو المعاهد، والتعامل مع المسلم يختلف عن التعامل مع الكافر، والتعامل مع السني يختلف عن التعامل مع المبتدع .. وهكذا؛ فمن الخطأ والانحراف المساواة بينهم جميعًا في أحكام واحدة.

وقد بيَّن العلماء رعاهم الله هذه الأحكام المتعلقة بكل صنف ممن سبق؛ فألفوا في "أحكام أهل الذمة"، وكتبوا في "أحكام أهل البدعة" .. الخ .

أنموذج لمن يحاول "مساواة" الكافر بالمسلم عند الحديث عن الآخر:

الأمثلة كثيرة في كتابات المعاصرين ممن يخوضون بجهل وهزيمة نفسية في هذا الموضوع؛ حيث التلبيس المتعمد وتتبع الشبهات والمتشابهات لكي يساووا "شر البرية" من أصحاب الجحيم بأهل الإيمان والإسلام! ويتعجب المسلم لهذا الجلد والحماس في سبيل الهدف السيئ السابق؟ هل هو لأجل إرضاء اليهود والنصارى، والظهور أمامهم بمظهر المتمدن المتحضر؟! فالله سبحانه يقول (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) فأربعوا على أنفسكم يا قوم ؛ فإننا لم نر من الآخر- !!رغم مداهناتكم وتزلفكم لهم- سوى المزيد من الاستكبار والتسلط على المسلمين (فكريًا وعسكريًا). فلا للأعداء أرضيتم، ولا لدينكم أبقيتم.

يقول أحد العلماء الكرام(1):

(..كثر على ألسنة بعض الكتاب أنه لا تجوز تخطئة المخالف، وأنه يجب احترام الرأي الآخر، وأنه لا يجوز الجزم بأن الصواب مع أحد المختلفين دون الآخر. وهذا القول ليس على إطلاقه؛ لأنه يلزم عليه أن جميع المخالفين لأهل السنة والجماعة على صواب ولا تجوز تخطئتهم، وهذا تضليل؛ لأنه يخالف قول النبي صلى الله عليه وسلم: "وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قيل: مَن هي يا رسول الله؟ قال: هم مَن كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

ويلزم على هذا القول أيضا أن المخالف للدليل في مسائل الاجتهاد لا يقال له مخطئ، ولا يردّ عليه، وهذا يخالف قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران. وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد"، فدل على أن أحد المجتهدين المختلفين مخطئ، لكن له أجر على اجتهاده ولا يتابع عليه؛ لأن اجتهاده خالف الدليل، وإنما يصحّ اعتبار هذا القول، وهو عدم الجزم بتخطئة المخالف، في المسائل الاجتهادية التي لم يتبين فيها الدليل مع أحد المختلفين، وهو ما يعبر عنه بقولهم: "لا إنكار في مسائل الاجتهاد"، و"الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد".

وهذا من اختصاص أهل العلم وليس من حق المثقفين والمفكرين الذين ليس عندهم تخصص في معرفة مواضع الاجتهاد وقواعد الاستدلال أن يتكلموا ويكتبوا فيه.

ولو كان لا يُخطّأ أحد من أصحاب الأقوال والمذاهب لكانت كتب الردود والمعارضات التي ردّ بها العلماء على المخالفين كلها مرفوضة، ولما كان لقوله تعالى "فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ" فائدة ولا مدلول؛ لأنه لا تجوز تخطئة المخالف، وهذا لازم باطل؛ فالملزوم باطل.

وما نقرؤه وما نسمعه من اتهام للعلماء الذين يردّون على المخالفين بأنهم يحتكرون الصواب لهم، ويخطئون مَن خالفهم، وأنهم يصادرون الآراء والأفكار.. إلى آخر ما يقال؛ فهو اتهام باطل؛ فإن العلماء المعتبرين لا يحتكرون الصواب في أقوالهم، وإنما يخطئون مَن خالف الدليل، وأراد قلب الحقائق؛ فيردّون على مَن هذه صفته عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم". وقد ردّ الله سبحانه وتعالى على أهل الضلال في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، وشرع لنا الردّ عليهم؛ إحقاقاً للحق، وإزهاقاً للباطل. ولولا ذلك لشاع الضلال في الأرض، وخفي الحق، وصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً.

وإذا كان حصل من بعض المتعالمين سوء أدب مع المخالفين، وتجاوز للحدود المشروعة في الردّ فهذا لا ينسب إلى العلماء، ولا يتخذ حجّة في السكوت عن بيان الحق، والردّ على المخالف، هذا ما أحببنا التنبيه عليه "إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ"، وصلى الله وسلم على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه).

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

قســاوسة البيــت الأبيــض
أو
سياسيــون في ثيــاب قساوســـة

قاسم العلوش
باحث في العلوم السياسية

نتحدث في هذه الحلقة عن الدور الخطير الذي يلعبه مجموعة من القساوسة الأمريكيين الذين يعتبرون من رواد الحركة الأصولية المسيحية في الوقت الراهن، قساوسة كان لهم الدور الكبير ولا يزال، في توجيه صناع القرار الأمريكي نحو مواقف عنصرية متطرفة ضد العرب والمسلمين، هذا الأمر يقودنا إلى طرح مجموعة من الأسئلة مثل:

ما هي حدود الدين والسياسة في المجتمع الأمريكي؟

وإلى أي حد يمكننا أن نتحدث عن عدم تدخل رجال الدين الكنسي في صناعة القرار السياسي داخل النظام السياسي الأمريكي؟

هل التطرف سمة ينعت بها فقط علماء المسلمين ظلما وزورا؟

أم أن التطرف هو السمة الغالبة على رجال الدين والقساوسة النصارى الذين أصبح لهم نفوذ كبير في دواليب الحكم والسياسة في البلدان الغربية، بعد ما ظن الكثير من الناس أن العلمانية المتبناة من طرف تلك الأنظمة قد أنهت نفوذ رجال الكنيسة إلى غير رجعة؟

من خلال السطور التالية سنقف مع أبرز قساوسة الحركة الأصولية المسيحية وأكثرهم نفوذا داخل المجتمع الأمريكي، وأكبرهم تأثيرا على رجال الحكم والسياسة الذين تعاقبوا على حكم البيت الأبيض منذ ما يزيد عن نصف قرن، سنتحدث عن كل من القس "بات روبرتسون"، والقس "جيري فولوي"، إنهم من قساوسة البيت الأبيض أو سياسيون في ثياب قساوسة.

أولا: القس "بات روبرتسون" وشبكة الإذاعة المسيحية

يعتبر القس "بات غوردون روبرتسون"، أحد الأوائل من رجال الكنيسة الذين تنبهوا إلى أهمية تأثير الكنيسة المرئية العام وقوة هذا التأثير، فقد قام منذ عام 1961 بشراء محطة تلفزة في مدينة "بورتسموث" في فيرجينيا، وأصبحت الآن شبكة واسعة من المحطات تغطي الولايات المتحدة الأمريكية إلى ما يتعدى 60 دولة أجنبية، وتستخدم أقمارا صناعية في البث الإذاعي والتلفزيوني، وهي تجني من وراء ذلك أرباحا خيالية، وتعود أصول هذا القس إلى أسرة "هاريسون" الأمريكية، وكان أحد أفرادها ممن وقع على إعلان الاستقلال الأمريكي، وكان والده عضوا في مجلس الشيوخ لمدة 34 عاما، أما في عام 1988 فإن "روبرتسون" أعلن نفسه أحد المرشحين لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية في انتخابات الرئاسة، وبذلك يكون ثاني قس في التاريخ الأمريكي يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية بعد القس "جيسي جاكسون" في عام 1984. ويقف "روبرتسون" على رأس مؤسسة منظمة، متشعبة الأغراض والوسائل، ولها جذور شعبية وتأثير واسع. وكان "روبرتسون" يعتقد أثناء حملته الانتخابية أنه الأكثر جدارة لمواصلة برنامج الرئيس الأمريكي "رونالد ريغان" بعد انتهاء ولايته في عام 1988، كما كان يعتبره الحزب الديمقراطي أكثر قيادات اليمين تطرفا في الولايات المتحدة الأمريكية، وتعتبر أجهزة القس "روبرتسون"، وبخاصة شبكته الإعلامية المسماة "شبكة الإذاعة المسيحية" (Christian Broadcasting Network) واختصارها CBN، من بين الشبكات الأكثر حداثة وتجهيزا في عالم التلفزة والفضائيات، كما أنه الأكثر حذقا ونشاطا في توصيل رسالته في عالم الكنيسة المرئية كما قال "ويلسي كرانبرغ" في كتابه "اليمين الإنجيلي وإسرائيل"، وتقف هذه الشبكة الإذاعية المسيحية وبرامجها، على رأس قائمة أهم الشبكات المسيحية المرئية والمسموعة، وأكثرها اجتذابا للمشاهدين.

وتملك هذه الشبكة المسيحية العديد من محطات التلفزة والشبكات السلكية، وبرنامجا استعراضيا يعرض عدة مرات يوميا يسمى "ناد السبعمائة" (700 Club)، نسبة على 700 مساهم مع روبتسون. وهو يبث في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية ومعظم دول (العالم الحر).

وهو برنامج من تسعين دقيقة يصل إلى أكثر من 16 مليون عائلة، أي أكثر من 19 بالمائة من الأمريكيين. كما تبث هذه الشبكة برنامجا إخباريا ليليا مدته نصف ساعة على محطاتها التلفزيونية الرئيسية في بروتسموث ودلاس وبوسطن.

وتملك مؤسسة "روبرتسون" أيضا جامعة معتمدة منذ عام 1977 هي جامعة "سي.بي.إن"(CBN University)، وهي تمنح درجة الماجستير إضافة إلى الشهادات الجامعية الأخرى، وفيها كليات للإعلام والتربية وإدارة الأعمال والقانون والدراسات التوراتية، كما تصدر نشرة إخبارية شهرية وتسمى "مواقف بات روبرتسون"، وقد اعتاد أن يقول فيها إن "إسرائيل هي أمة الله المفضلة" (Nation God's Favoured)، وأن يدعوا إلى الدعم الأمريكي لإسرائيل، ويؤيد احتلالها الأراضي العربية، ويقف ضد إقامة دولة للفلسطينيين.

ولعل أبرز نشاطات القس "بات روبرتسون" وأكثر منابره تأثيرا وجماهيرية برنامج الكنيسة المرئية المسمى (السبعمائة ناد)(700 Club)ويذاع عدة مرات يوميا، ويجذب هذا البرنامج ما يفوق 4 ملايين و400 ألف شخص يوميا، وبخاصة في قطاع النساء، فضلا عن المشاهدين في سن الشباب.

يقول "روبرتسون" عن برامجه ونشراته الإخبارية، أنها تصل إلى عدد من المشاهدين والقراء يفوق أعداد الذي تصلهم مجلات "التايم" و"نيوزويك" وصحف "واشنطن بوست" و"نيويورك تايمز" و"لوس أنجلس تايمز" مجتمعة.

ولا يوجد في عقل "بات روبرتسون" سوى الأيام الأخيرة من هذا الزمان، وغزو العرب لإسرائيل، واللامسيحية، وتزايد الزلازل والبراكين، والمجيء الثاني للمسيح، وتتمحور الإجابة عن هذه القضايا عنده في أن إعادة مولد إسرائيل هي الإشارة الوحيدة إلى أن العد التنازلي لنهاية الكون قد بدأ، كما أنه مع مولد إسرائيل، فإن بقية النبوءات أخذت تتحقق بسرعة.

وتبدو برامج القس "بات روبرتسون" وخاصة برنامجه (السبعمائة ناد) باستمرار معاديا للعرب والمسلمين، وهو يعتبرهم (أعداء الله) "ويعتبر أنه لا مجال للعدل مع الفلسطينيين طالما أن رغبة الله هي في تأسيس إسرائيل، وفي تعيين حدودها"، ولا مجال لديه في برنامجه لأي حوار مع المسيحيين العرب أنفسهم، لكنه يفتح برنامجه لضيوف من إسرائيل، ومن الجماعات اليهودية الأمريكية.

كما يحتفل في برنامجه بأعياد اليهود باستمرار، وقرر "روبرتسون" عند بداية تصميمه للعمل لصالح إسرائيل، قائلا: "لقد أقسمت نذرا لله، بأنه رغم المعارضة لإسرائيل من حولي، فإننا سنقف بجانب إسرائيل مهما يكن..."، وقد كان ذلك نقطة تحول لعموم رعوية مؤسسة الشبكة الإذاعية المسيحية (من نص رسالة "بات روبرتسون" إلى أصدقاء شبكة الإذاعة المسيحية).

ثانيا: "بات روبرتسون" صهيوني أكثر من الصهاينة

في أثناء غزو إسرائيل للبنان في صيف عام 1982م، طلب "روبرتسون" في برنامجه "السبعمائة ناد" إلى المشاهدين أن (يكتبوا إلى الرئيس ريغان، ويدعوا أعضاء الكونغريس إلى حث إسرائيل على مواصلة غزوها للبنان، إلى الحد الذي تراه إسرائيل ضروريا)، ورأى في عملية الغزو خدمة يؤدّيها الجيش الإسرائيلي إلى الشعب اللبناني، (ديمر، الحلف الآثم، ص 7).

وقد ظهر القس "بات روبرتسون" في 9 يونيو 1982، وفي أثناء حصار قوات الغزو الإسرائيلي لبيروت، في برنامجه (السبعمائة ناد)، وفسر المعركة الجارية في لبنان لأتباعه ومشاهديه، وبعد أن شرح لهم استراتيجية المعركة من وجهة نظر إسرائيلية.. قال بلغة الواثق وكأنه يعلم الغيب، وهو في الواقع ليس إلا دجال سياسي: "إنني أضمن لكم أنه بحلول خريف 1982، ستنزل ضربة القضاء على الدنيا.." ثم نظر إلى لوحة معلقة على الحائط أمام الكاميرا، وأشار إلى خريطة الشرق الأوسط وكرر كلاما من التوراة يتحدث عن تجمع يقوده ياجوج (وفسره على أنه الاتحاد السوفياتي) في أرض ماجوج (فلسطين) وستنضم إليه شعوب بيت جورما (أرمينيا) ويوت (أي ليبيا)، وروش (أي إثيوبيا)، وجومر (اليمن)، وفارس (أي إيران)، وتحدث بعد ذلك عن دور الولايات المتحدة الأمريكية ودعمها لإسرائيل، واستخدامها حق الفيتو في مجلس الأمن للحيلولة دون إدانة الغزو الإسرائيلي للبنان، وخلص إلى القول بحتمية المعركة النهائية، واشتعال المنطقة، باعتبار ذلك أحد معتقداته التوراتية بنهاية الأزمنة.

وفي نهاية البرنامج كرر ذلك القس طلبه إلى المشاهدين، ضرورة الإسراع للاتصال بالبيت الأبيض و"الكونغريس" والمطالبة باستمرار دعم الكيان الصهيوني وتأييد غزوه للبنان.

وهكذا يتضح لك أيها القارئ الكريم، إلى أي حد أضحى رجالات الكنيسة هم المحرك الأساسي للعداء الأمريكي الدائم لقضايا أمتنا العربية والإسلامية، ورغم ذلك لا أحد يتحدث أو يشير إلى أن هذا تطرفا دينيا نصرانيا، وإلى أن هذه قمة ثقافة الحقد والكراهية المنتجة بثياب رأسمالي -صليبي- سياسي يدعي أصحابها أنهم حراس "الحرية والديمقراطية" في العصر الحديث.

فنحن لا ندري أيهما يحكم ويوجه السياسة وقراراتها في البيت الأبيض، هل هم رجال السياسة الحزبيين أم هم سياسيون في ثياب قساوسة. وسنعرض في الحلقة القادمة إن شاء الله لنموذج أخر من هؤلاء القوم وهو القس "جيري فولويل".

القاديانية صنيعة الإنجليز

أحمد السالمي

التعريف:

القاديانية حركة نشأت سنة 1900م، بتخطيط من الاستعمارالإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم، وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الإنجليزية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

كان مرزا غلام أحمد القادياني 1839-1908م أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية، وقد ولد في قرية قاديان من بنجاب في الهند عام 1839م، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن، وهكذا نشأ غلام أحمد وفياً للاستعمار مطيعاً له في كل حال، فاختير لدور مدعي النبوة حتى يلتف حوله كل غافل من المسلمين ويَشغل العلماء والدعاة بالرد على افتراءاته، ويصرفهم عن جهادهم للاستعمار الإنجليزي. وكان للحكومة البريطانية إحسانات كثيرة عليهم، فأظهروا الولاء لها، وكان غلام أحمد معروفاً عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وإدمان المخدرات.

وممن تصدى له ولدعوته الخبيثة الشيخ أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري أمير جمعية أهل الحديث في عموم الهند، حيث ناظره وأفحم حجته، وكشف خبث طويته، وكفره، وانحراف نحلته، ولما لم يرجع غلام أحمد إلى رشده باهله الشيخ أبو الوفا على أن يموت الكاذب منهما في حياة الصادق، ولم تمر سوى أيام قلائل حتى هلك المرزا غلام أحمد القادياني في عام 1908م مخلفاً أكثر من خمسين كتاباً ونشرة ومقالاً، ومن أهم كتبه: إزالة الأوهام، إعجاز أحمدي، براهين أحمدية، أنوار الإسلام، إعجاز المسيح، التبليغ، تجليات إلهية، ومن أبرز الشخصيات التي ساعدة الاستعمار على نشر هذا الضلال هي:

- نور الدين: الخليفة الأول للقاديانية، وضع الإنجليز تاج الخلافة على رأسه فتبعه المريدون، من مؤلفاته: فصل الخطاب.
- محمد علي وخوجه كمال الدين: أميرا القاديانية اللاهورية، وهما مُنَظِّرا القاديانية وقد قدّم الأول ترجمة محرفة للقرآن الكريم إلى الإنجليزية ومن مؤلفاته: حقيقة الاختلاف، النبوة في الإسلام، والدين الإسلامي، أما الخوجة كمال الدين فله كتاب المثل الأعلى في الأنبياء وغيره من الكتب، وجماعة لاهور هذه تنظر إلى غلام أحمد ميرزا على أنه مجدد فحسب، ولكنهما يُعتبران حركة واحدة تستوعب الأولى ما ضاقت به الثانية وبالعكس.
- حمد علي: أمير القاديانية اللاهورية، وهو مُنَظِّر القاديانية وجاسوس الاستعمار، والقائم على المجلة الناطقة باسم القاديانية، قدم ترجمة محرفة للقرآن الكريم إلى الإنجليزية، من مؤلفاته: حقيقة الاختلاف، النبوة في الإسلام.
- محمد صادق: مفتي القاديانية، من مؤلفاته: خاتم النبيين.
- بشير أحمد بن الغلام: من مؤلفاته سيرة المهدي، كلمة الفصل.
- محمود أحمد بن الغلام وخليفته الثاني: من مؤلفاته أنوار الخلافة، تحفة الملوك، حقيقة النبوة.
- كان لتعيين ظفر الله خان القادياني كأول وزير للخارجية الباكستانية أثر كبير في دعم هذه الفرقة الضالة حيث خصص لها بقعة كبيرة في إقليم بنجاب لتكون مركزاً عالمياً لهذه الطائفة وسموها "ربوة" استعارة من نص الآية القرآنية (وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين).[سورة المؤمنون، الآية:50].

الأفكار والمعتقدات:

- بدأ غلام أحمد نشاطه كداعية إسلامي حتى يلتف حوله الأنصار ثم ادعى أنه مجدد وملهم من الله، ثم تدرج خطوة أخرى فادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود، ثم ادعى النبوة وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
- يعتقد القاديانيون أن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو ويكتب ويخطئ ويجامع - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -.
- ويعتقد القادياني بأن إلهه إنجليزي لأنه يخاطبه بالإنجليزية .!!!
- وتعتقد القاديانية بأن النبوة لم تختم بمحمد صلى الله عليه وسلم بل هي جارية، والله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعاً.
- ويعتقدون أن جبريل عليه السلام كان ينزل على غلام أحمد وأنه كان يوحي إليه، وأن إلهاماته كالقرآن.
- يقولون لا قرآن إلا الذي قدمه المسيح الموعود (الغلام)، ولا حديث إلا ما يكون في ضوء تعليماته، ولا نبي إلا تحت سيادة غلام أحمد.
- ويعتقدون أن كتابهم منزل واسمه الكتاب المبين وهو غير القرآن الكريم.
- ويعتقدون أنهم أصحاب دين جديد مستقل وشريعة مستقلة وأن رفاق الغلام كالصحابة.
- ويعتقدون أن قاديان كالمدينة المنورة ومكة المكرمة بل وأفضل منهما وأرضها حرم وهي قبلتهم وإليها حجهم.
- نادوا بإلغاء عقيدة الجهاد كما طالبوا بالطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية لأنها حسب زعمهم ولي الأمر بنص القرآن.!!!
- كل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية: كما أن من تزوج أو زوج من غير القاديانيين فهو كافر.
- يبيحون الخمر والأفيون والمخدرات والمسكرات.

الجذور الفكرية والعقائدية:

- كانت حركة "سير سيد أحمد خان" التغريبية قد مهدت لظهور القاديانية بما بثته من الأفكار المنحرفة، فاستغل الإنجليز هذه الظروف فصنعوا الحركة القاديانية واختاروا لها رجلاً من أسرة عريقة في العمالة، وفي عام 1953م قامت ثورة شعبية في باكستان طالبت بإقالة ظفر الله خان وزير الخارجية حينئذ واعتبار الطائفة القاديانية أقلية غير مسلمة، وقد استشهد فيها حوالي العشرة آلاف من المسلمين ونجحوا في إقالة الوزير القادياني، وفي شهر ربيع الأول 1394هـ الموافق إبريل 1974م انعقد مؤتمر كبير برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وحضره ممثلون للمنظمات الإسلامية العالمية من جميع أنحاء العالم، وأعلن المؤتمر كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام، وطالب المسلمين بمقاومة خطرها وعدم التعامل مع القاديانيين وعدم دفن موتاهم في قبور المسلمين.
- قام مجلس الأمة في باكستان (البرلمان المركزي) بمناقشة زعيم الطائفة مرزا ناصر أحمد والرد عليه من قبل الشيخ مفتي محمود رحمه الله، وقد استمرت هذه المناقشة قرابة الثلاثين ساعة عجز فيها ناصر أحمد عن الأجوبة وانكشف النقاب عن كفر هذه الطائفة، فأصدر المجلس قراراً باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة.

ومن موجبات كفر الميرزا غلام أحمد الآتي:

- ادعاؤه النبوة.
- نسخه فريضة الجهاد خدمة للاستعمار.
- إلغاؤه الحج إلى مكة وتحويله إلى قاديان.
- تشبيهه الله تعالى بالبشر.
- إيمانه بعقيدة التناسخ والحلول.
- نسبته الولد إلى الله تعالى وادعاؤه أنه ابن الإله.
- إنكاره ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، وفتح بابها لكل من هبَّ ودبَّ.
- للقاديانية علاقات وطيدة مع إسرائيل وقد فتحت لهم إسرائيل المراكز والمدارس ومكنتهم من إصدار مجلة تنطق باسمهم وطبع الكتب والنشرات لتوزيعها في العالم.
- تأثرهم بالمسيحية واليهودية والحركات الباطنية واضح في عقائدهم وسلوكهم رغم ادعائهم الإسلام ظاهرياً.

الانتشار ومواقع النفوذ:

- معظم القاديانيين يعيشون الآن في الهند وباكستان وقليل منهم في إسرائيل والعالم العربي ويسعون بمساعدة الاستعمار للحصول على المراكز الحساسة في كل بلد يستقرون فيه.
- وللقاديانيين نشاط كبير في أفريقيا، وفي بعض الدول الغربية، ولهم في أفريقيا وحدها ما يزيد عن خمسة آلاف مرشد وداعية متفرغين لدعوة الناس إلى القاديانية، ونشاطهم الواسع يؤكد دعم الجهات الاستعمارية لهم.
- هذا وتحتضن الحكومة الإنجليزية هذا المذهب وتسهل لأتباعه التوظف بالدوائر الحكومية العالمية في إدارة الشركات والمفوضيات وتتخذ منهم ضباطاً من رتب عالية في مخابراتها السرية.
- نشط القاديانيون في الدعوة إلى مذهبهم بكافة الوسائل، وخصوصاً الثقافية منها حيث أنهم متقفون ولديهم كثير من العلماء والمهندسين والأطباء، ويوجد في بريطانيا قناة فضائية باسم التلفزيون الإسلامي يديرها القاديانية.

ويتضح مما سبق:

أن القاديانية دعوة ضالة، ليست من الإسلام في شيء، وعقيدتها تخالف الإسلام في كل شيء، وينبغي تحذير المسلمين من نشاطهم، بعد أن أفتى علماء الإسلام بكفرهم.

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

آداب زيارة المريض

يجب على زائر المريض أن يحرص على راحته وهدوئه، فلا يحدث بجواره ضوضاء، أو إزعاجا حتى لا يزيده عناء ورهقا وألا يحمل إليه حين يعوده من المأكولات أو المشروبات ما يكون فيه هلاكه، والإضرار به.

وعليه أن يلتزم بتعاليم من يقومون على علاجه وتمريضه وأن يحثه برفق وتلطف على الصبر والجلد والتحمل، وأن يدعو له بالشفاء، ولا يطيل المكوث عنده حتى لا يثقل عليه ويرهقه، ويزيد من ضيقه وعنائه بجانب معاناته لآلام وأوجاع المرض.

ويجب على من يزور مريضا أن يكون كيِّسا لبقا، فطنا، حريصا على كل كلمة يقولها له، حتى لا يتفوه أمامه بكلمات تحمل أنباء غير سارة أو أخبارا يعلم أنه سيتألم من سماعها، بل ربما يكون فيها هلاكه، وليحرص أن يخرج من عند مريضه تاركا عنده انطباعا طيبا، حسنا حتى يكون لزيارته هذه معنى مفيد وأثر حميد وهذا هو المقصود والمستهدف من زيارة المرضى عند الله ورسوله وتعاليم ديننا الحنيف.

ومن السنة النبوية الشريفة أن يقول المسلم عند عيادته لأخيه المصاب: "لا بأس طهور".

أدوية ضارة بالكبد

سوف نذكر بعض أنواع الأدوية التي تضر الكبد ولا ينصح باستخدامها إلا تحت إشراف الطبيب وهذه الأدوية هي:

- معظم الأدوية المستعملة في علاج أمراض الدرن (السل).
- بعض أنواع الأدوية المستخدمة في علاج ضغط الدم.
- بعض أنواع الأدوية المخدرة.
- بعض أنواع الأدوية المستخدمة في علاج الصدفية وسرطان الدم.
- الجرعات الكبيرة من فيتامين "أ".
- أدوية المفاصل والروماتزم.
- بعض أقراص منع الحمل.

وهنا يجب أن نشير إلى أننا لا نقصد منع استخدام هذه الأدوية ولكن يجب الحذر من استخدامها إلا تحت إشرافٍ الطبيب وليس الصيدلي أو أحد الناصحين، فالطبيب مثلا قد يضطر إلى استعمال أحد الأدوية التي تضر الكبد في بعض الحالات إذا كان ذلك ينقذ المريض من موقف خطير، فالطبيب وحده هو الذي يستطيع اتخاذ القرار في الظروف العصيبة.

آلام الساقين

كثيرا ما يشكو الأطفال من آلام غير محددة في أطرافهم السفلى تنتابهم غالبا بعد يوم حافل باللعب العنيف، وقد تجبرهم على التوقف عن الحركة والاستراحة، وإذا ما سئلوا عن مكانها أشاروا إلى الفخذ أو الساق، وهي عادة تزول بعد راحة قصيرة ثم يعاودون اللعب ثانية.

وأحياناً أخرى توقظهم من النوم أثناء الليل.

وتلك الآلام يطلق عليها اسم آلام النمو ولكن ليس للنمو أي دخل بها إنما يرجح أن تكون بسبب المجهود الزائد الذي تتحمله العضلات من جراء كثرة اللعب والجري والحركة الدائمة ولذلك فإنها تخف مع الراحة والتهدئة، وإذا أيقظت الطفل ليلا فلا مانع من إعطائه مسكنا خفيفا كـ"الباراسيتامول" وتدليك مكان الألم وطمأنته حتى يسترسل ثانية في النوم.

ولا داعي أبدا للخوف أو الاشتباه في كونها بداية حمى روماتزمية، كما قد يخطر على بال الأمهات المتخوفات لأن آلام الحمى الروماتزمية لا تشمل أبدا العظام أو العضلات، إنما تشمل المفاصل الكبيرة وأحيانا الصغيرة وتكون المفاصل متورمة نوعا ما مع احمرار الجلد حولها، وتكون دائما مصحوبة بارتفاع ولو طفيف في درجة الحرارة، ولا تزول بعد الراحة القصيرة بل تستمر لمدة أيام إذا لم تعالج، ويزيد الألم عند تحريكها، وأخيرا الفاصل الأكيد بين الاثنين هو الزيادة الكبيرة في سرعة الترسيب -انظر سرعة الترسيب- التي تدل دون شك على الإصابة بالحمى الروماتزمية.

أسباب مرض السكر

من المعروف أن المرض ينتج من نقص مادة الأنسولين التي تساعد على تمثيل السكر الناتج فإذا نقص الأنسولين فإن تحول هذه المواد يقل وبالتالي ترتفع نسبة سكر "الجلوكوز" في الدم عن حده الطبيعي والمستوى الذي يبقى في الدم دون تسربه إلى البول فلا يجد بدا من أن ينزل في البول مسببا البول السكري.

وفي حالة السكر الكاذب تكون قدرة الكليتين عن إبقاء سكر الدم أقل من المستوى فينزل سكر "الجلوكوز" في البول مع نسبة "جلوكوز" الدم طبيعية وهذا لا يعني أن الشخص مصاب بالسكر ولو أن مثل هذا الشخص يجب أن يبقى تحت الملاحظة إذ وجد أن عددا من هؤلاء المصابين ربما كان مريضا بالسكر الحقيقي.

عامل الوراثة

وهو من العوامل المهمة في حدوث مرض السكر خصوصا عند صغار السن فإذا تزوج مريض مصاب بالسكر بسيدة مصابة بهذا المرض فإن نسبة كبيرة من أولادهم تصاب بالسكري.

لذا كان من الواجب أن يتأكد كل من يتزوج من خلو من يتزوجها من مرض السكري أو من أن هناك تاريخا لهذا المرض في أسرتها ويا حبذا لو قل عدد الزواج في العائلة المصابة بمرض السكر لأن التقيد بهذا يقلل من عدد المصابين بهذا المرض ولعل هذا التوارث هو ما سبب زيادة في نسبة المصابين في هذه الأيام.



سرعة الترسيب

يتكون الدم من سائل هو البلازما .. وكرات دموية، الكرات الدموية أثقل من البلازما فإذا وضع دم الطفل في أنبوبة وترك بها فإن الكرات الدموية ترسب للقاع تاركة البلازما لأعلى.

وسرعة ترسيب الكرات الدموية تحسب بالمليمتر في الساعة.

تزيد سرعة الترسيب عند أي مرض وليس عند الإصابة بالحمى الروماتزمية حتى ولو كان مجرد أنفلونزا والتهاب حلق ... والقصة الشائعة بل -الغلطة الشائعة- هي أن الطفل يصاب بالتهاب حلق وأنفلونزا وعادة ما يصاحب ذلك بعض الألم والتكسر في الجسم، وقد يشكو الطفل من أوجاع بسيطة في أطرافه كما يحدث لنا جميعا عندما نصاب بالأنفلونزا يتسارع الأهل إلى عمل اختبار سرعة الترسيب فيجدها الأهل عالية بعض الشيء فيربطون بين ارتفاعها وآلام الأطراف ويعتقدون بإصابة الطفل بالروماتيزم، ولكن الروماتيزم غير ذلك تماما.

الحمى الروماتزمية

مرض خطير لا شك، فهو يصيب أحيانا جسم الإنسان مثل القلب والمخ وبالإضافة طبعا للمفاصل والجلد.

وسببه هو حساسية جسم بعض الأطفال لميكروب يسمى الميكروب السبحي الذي يحدث في بعض الأمراض الشهيرة العادية عموما مثل التهاب الحلق والتهاب اللوزتين بل والالتهابات الجلدية.

وتكون الصورة في الغالب وبالذات في حالة روماتزم المفاصل هي إن طفلا أصيب بالتهاب اللوزتين وأُهمل علاجه يشكو بعد حوالي الأسبوعين من: ألم شديد ... وتورم شديد ... واحمرار ... في بعض المفاصل مثل الركبتين والكعبين أو الرسغين والكوعين يستمر 3 إلى 5 أيام ينتقل من هذا المفصل إلى الآخر، ومع حالة عامة سيئة ونلاحظ هنا فارقا كبيرا بين هذا وبين الآلام الخفيفة التي تصاحب عادة البرد والأنفلونزا.

أما إذا تركز المرض في الجهاز العصبي فترى الطفل بعد شهور - وليس أسبوعين - من الإصابة بالتهاب الحلق أو اللوزتين، وقد بدأ يحدث حركات لا إرادية بأطرافه ورأسه وجسمه، وفي حالة إصابة القلب قد يحدث هبوط به مع حدوث نهجان (تعب) عند أقل مجهود، ولكن أثر الروماتيزم على الجلد لا يزيد على طفح في شكل بقع دائرية أطرافها حمراء ولكن تبدو باهتة في وسطها.

الوقاية من الروماتيزم:

لا تهاون في علاج التهاب الحلق أو اللوزتين ويجب أن يكون ذلك تحت إشراف الطبيب الذي يعطي في حالة التهاب اللوزتين علاجا لمدة لا تقل عن عشر أيام.

خطأ شائع:

يحكم البعض على كفاءة لوزتي الطفل بعدد مرات الإصابة بالتهابها، فيقول البعض إن الإصابة إذا زاد عدد مراتها على أربع مرات سنويا فيكون هذا مؤشرا بوجوب استئصالها.

ولكن لنفرض أن الطفل يدرس في فصل به ستون تلميذا نصفهم مصاب بالتهاب الحلق، والنوافذ مغلقة والأمهات في العمل والكل لا يرغب في إبقاء الابن المريض في المنزل فيتعرض السليم للعدوى المتكررة التي قد تزيد على خمس بل عشر مرات في الموسم، فما ذنب اللوزتين هنا؟

إذن الحكم على اللوزتين يكون بمناظرة الطبيب لهما وليس بعدد المرات.

وأخيرا .. في وجود هذا الازدحام في الفصل وسوء التهوية بالمنزل فالوقاية الوحيدة لطفلنا هي الرياضة والهواء الطلق والنزهة المستمرة.

وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين

أحمد البكري

عندما يدور الزمان دورته، وعندما يعلو الران، وتختل الأوزان، وعندما تتبلد الأحاسيس، وتفسد القيم، وعندما يصبح الذئب ناصحا للغنم، ويصبح الماجن مصدرا للقيم، ويتأرجح الإنسان بين الصدق والكذب، ويعيد أناس قصة إبليس مع آدم، يحار اللبيب من هذا الأمر وينبهر.

اختلطت الموازين كما أخبر الصادق الأمين: "سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون الأمين، وينطق فيها الرويبضة. قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة" صحيح.

قال بعض الحادقين:

وكم رجال أجادوا النفاق   فصارو بغير علم شيوخـــا
زمن ضاعت الموازين فيـه   فغدى الدرهم الرديء جنيها

فهذا التلبيس لتحقيق الأهداف منهج إبليسي قديم، انتحل فيه إبليس شخصية الصادقين، وارتدى عباءة الناصحين، ناطقا بالكذب ومدعيا الصدق "إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ"، كذبة غيرت حياة آدم وزوجه، وأخرجتهما من النعيم المقيم.

"وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ"، قال البغوي رحمه الله: "(فَدَلاهُمَا بِغُرُورٍ) أي: خدعهما، يقال: ما زال فلان يدلي لفلان بغرور، يعني: ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف باطل من القول.

وقيل: حطهما من منـزلة الطاعة إلى حالة المعصية، ولا يكون التدلي إلا من علو إلى أسفل، والتدلية: إرسال الدلو في البئر، يقال: تدلى بنفسه ودلى غيره، قال الأزهري: أصله: تدلية العطشان البئر ليروى من الماء ولا يجد الماء فيكون مدلى بغرور، والغرور: إظهار النصح مع إبطان الغش".

واعجباه! من قوم يخادعون الناس، ويعيدون تمثلية إبليس بانتحالهم شخصية الناصحين المصليحن، فيصورون الانحلال تفتحا، والدياثة "موضة"، والتفسخ تقدما، والمجون تحضرا، والاعتصام بالدين تخلفا ورجعية، ولو اطلع هؤلاء على التاريخ لأيقنوا أن عز الأمة في دينها، لا في اتباع زبالة أفكار الغرب.

هذه هي الأمراض قد فتكت بنـا   في عصرنا و دواءها الإسلام

ولا ينقضي العجب من قوم بدلوا المشاعر والعواطف بفعل المصالح النفسية الذاتية والمكائد العلمانية الخارجية والطائفية والقومية، وتبلدت أحاسيسهم بفعل التعود على ما يصوره وينقله الإعلام من مناظر ورسوم تصير القلب بعد أن يتشبع بها أشد قسوة من الحجر، فيصبح هذا القلب لا ينكر منكرا ولا يعرف معروفا، كما أخبر سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير على قلبين أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مِربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه" رواه مسلم.

هذا الحديث يدندن حول فتن الشهوات المادية والشبهات الفكرية التي تعرض للعبد المؤمن، والتي يلقيها شياطين الإنس والجن، حول وجود الله وملائكته وكتبه ورسله وحول صدق ماجاءت به الرسل الكرام من عقائد الإسلام فتمسخ الفطر وتركسها.

"وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ" حينها يُدجّن المتلقي على التكيف والتطبع مع ما يجري حوله وينخدع انخداع الحمَل بوعود ذئب.

آه مـن مسترسل في غيّه   كانت العلياء يوماً موطئـه
كـم حقود تنثني هامتـه   كذباً يحمل عـدوان مئـه
ربّمـا تأكلـه أحقـاده   مثلما يأكل فـأرٌ منسـأه
ربّما أهـدي عـدوٌ باقـة   والأفاعي بينها مختبئـه
سرّ هـذا الكون لا نعلمـه   إنّما يعلمه مـن بـرأه
أمّتي هل من رجوعٍ صادق   ليعيد المجد مـا قـد بـدأه
وإذا خـالط قلبـاً صـدا   فسيجلو ذكرُ ربّي صـدأه
إلجئي لله يـا أمّتنـا   فاز من كان إلهي ملجـأه

بر الوالدين والترابط الأسري

المنهج الرباني متميز عن غيره من المناهج الوضعية، والله سبحانه وتعالى قد أمرنا في كتابه العظيم، أن نقتدي برسله الكرام فقال عز وجل: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا تَبَاراً} نوح:28.

ويقول إبراهيم عليه السلام: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} إبراهيم:41، ولما هدد آزر ابنه إبراهيم عليه السلام وقال: {لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً} مريم46:، كان جواب إبراهيم عليه السلام: {قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً} مريم:47.

ويقول عيسى عليه السلام: {وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً} مريم: 32.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، وقال: استأذنت ربي عز وجل في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنت في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت".

والله سبحانه وتعالى أمر المسلمين ببر الوالدين، ولأهمية هذا الأمر وعظم شأنه فقد قرن سبحانه وتعالى برهما والإحسان إليهما بعبادته وتوحيده، فقال جل ذكره: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانا} الإسراء:23.

وقد وصى الباري سبحانه وتعالى الإنسان بوالديه، وقرن شكره بشكرهما فقال جل ذكره: {وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} لقمان:14.

إن بر الوالدين من أكبر الأدلة على الترابط الأسري والتكافل الاجتماعي الذي تميزت به الأمة الإسلامية عن بقية أمم الكفر، فالأسرة المسلمة تفخر بوجود الآباء والأمهات بينهم خاصة عند كبر السن، من الوفاء للآباء والأمهات ألا ننسى معروفهما، ولا نجحد فضلهما، لأن من كافأ على معروف أسدي إليه وهو لا يزال يعد نفسه مقصرًا تجاه صاحبه، كان أكثر الناس وفاءً ومروءة، والولد المغمور بأفضال والديه حريٌّ به أن يرى نفسه عاجزًا ومقصرًا ومدينًا تجاههما ولو بلغ في برهما أقصاه، لقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم مسألة بر الوالدين عناية خاصة فترددت أحاديثه وتكررت وصاياه، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: "أمك". قال: ثم من؟ قال: "أمك"، قال: ثم من؟ قال: "أمك"، قال: ثم من؟ قال: "أبوك".

إن بر الوالدين في حقك متأكد لما عرفته وعلمته من النصوص الشرعية، فقبّل رأسيهما صباحًا ومساءً، وتلطف في القول معهما، واجعلهما يعرفان منك وعنك المحبة لهما، والشفقة عليهما، والتوقير لجنابهما، وإدخال السرور عليهما، وكل ذلك لا يعد إلا ردًا لبعض جميلهما.

لقد ملأ سمع الناس اليوم حوادث كثيرة مؤلمة محزنة تنبئ عن عقوق الأولاد لآبائهم وأمهاتهم، فقد تواترت الأخبار عمن وضع أمه في الملجأ زاهدًا فيها!! وهناك من رفض الإفصاح عن أبيه في بعض المحافل الهامة لئلا يشوّه سمعته ويعير بفقره وأميته!! فوا أسفًا على الحمل والرضاع، ووا أسفا على السهر والبكاء، ويا ضيعة التربية والغذاء والعلاج والكساء.

قضى الله أن لا تعبدوا غيره حتمًا
فيا ويح شخص غيـر خالقـه أمّا
وأوصاكم بالوالديـن فبالغـوا
ببرهما فالأجر في ذاك والرحما
فكم بذلا من رأفـة ولطافـة
وكم منحا وقت احتياجك من نعما

{وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً} الإسراء:23-24، فلا نامت أعين العاقين...

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

المؤتمرات النائمة والمؤامرات الحالمة!!

عصام زيدان

من مكرور الحديث تناول الأوضاع التي تمر بها الدول العربية من أزمات متلاحقة آخذة بتلابيب العديد منها، في حين تنتظر الأخرى في استسلام عجيب ومريب في آن واحد أن توضع على منضدة التشريح ليعمل فيها العاملون أدواتهم وينفذون فيها مخططاتهم.

وجولة سريعة على خريطة العالم العربي لن تكون مفاجأة إذا ما وجدنا معاول التقسيم والتفتيت قد طالت عدة بلدان عربية، فيما الأخرى قد جرى تجهيزها للعملية التي لا نظن أنها ستستغرق طويلاً من الزمن نظرًا للقابلية الانهيارية التي باتت تغلف العديد من الأنظمة، وضعف المناعة والمقاومة السياسية للبعض الآخر، ناهيك عن استقواء الطابور الخامس وحصانته في غالب تلك الدول.

المؤامرات الحالمة:

بعيدًا عن الفلسفة الجدلية التي تسود دائمًا الحديث عن مؤامرات تحيط بالعالمين العربي والإسلامي، فإن الواقع هو خير شاهد على ما يجري وما سيجري في الغد من حرب تستهدف الهوية العربية والإسلامية وتريد لهما موتًا هادئًا لا صحوة بعده.

فالصومال قد استسلم لقدره السياسي منذ عام 1991 عقب انهيار نظام "سياد بري"، وأتت الحرب الضروس على خضرائه ويابسه وما تركته حتى الآن رغم أنه أشبه ما يكون بالحطام المتناثر، إذ تعلو فيه روح العصبية والقبلية متغلبة على روح التفاهم والحوار التي تم استبدالها بالقنابل والرصاص.

وتركت الصومال العربية فريسة الأطماع، وبدلاً من أن يكون للعرب اليد الطولى في البحث عن مخرج لهذه الدولة الشقيقة إذا بها تترك لتكون مرتعًا ومكانًا خصبًا لمشكلات الجوار التي زادت الأزمة تعقيدًا وتأزمًا.

والعراق يرزح تحت وطأة الاحتلال الأمريكي - الأوروبي الذي أطلق مارد الفتنة والحرب الطائفية من عقالها، ووقف العراق على شفا التقسيم بين شمال كردي ووسط سني وجنوب شيعي.

ويتكرر المشهد مجددًا، فيغيب عنه العرب ويمسك الملف من رأسه حتى قدميه الاحتلال من ناحية والدولة الشيعية الفارسية من ناحية أخرى، كل يبحث عن أطماعه ومآربه، فيما العرب في مقعد المشاهدة لا يبرحونه.

حتى المقاومة التي يعقد لها الأمل في وقف مخططات التقسيم والطائفية لا تجد حتى دعمًا معنويًا وسياسيًا عربيًا في مواجهة الركام الإعلامي الغربي الذي يعمد إلى تشوهيها ما استطاع إلى ذلك سبيلا، والدعم الفارسي الإيراني للمسلحين الشيعة الذين يمارسون تطهيرًا عرقيًا منظمًا ضد السنة العرب.

والسودان قد انسلخ جنوبه، أو هو في طريقه إلى ذلك، وفتنة الغرب في دارفور تجد من يزكيها ويشعلها، وعما قريب ستوضع تحت الانتداب الدولي تمهيدًا لسلخها هي الأخرى عن السودان في تكرار حرفي للمشهد العراقي، ويقف شرق السودان ينتظر مِعْول التقسيم هو الآخر، لنقف أمام أشلاء دولة عربية يخرج من رحمها ثلاث دول تدين بالولاء والطاعة لمحررها الغربي المسيحي.

وفي هذا الخضم المتلاحق لا يتغير المشهد العربي الذي اكتفى بمؤتمرات تعددت أشكالها، وتبقى مضامينها واحدة، محجوز لها مسبقًا خانة العجز والفشل عن مخرج لمشاكلها المتفاقمة يوما بعد يوم.

ولبنان عقب الجريمة الموتورة التي أدت إلى مقتل رئيس الوزراء رفيق الحريري في فبراير عام 2005 خطت بقوة مرة أخرى إلى نزاعات طائفية واحتقان سياسي أعاد إلى الأذهان ما كان عليه الوضع في ذلك البلد من قبل.

وكان عليها في ظل الصمت العربي والتغافل عن مستقبلها المحفوف بالمخاطر أن تسلّم بالتدخل الأمريكي الفرنسي الذي فصم عرى الترابط مع سوريا كخطوة أولى لمحاصرتها هي الأخرى، ثم نراه مصرًا بعد ذلك على محققين دوليين ومحكمة دولية في طعن واضح لاستقلال هذا البلد وسيادته وتمهيدًا لإشعال نار الفتنة مجددًا.

ومن اللافت أن لبنان هو البلد الوحيد الذي مثل بوفدين في القمة؛ إذ حضر بالإضافة إلى الرئيس إميل لحود رئيس الحكومة فؤاد السنيورة، ألقى كل منهما كلمة خلال الجلسة المغلقة لعرض وجهة نظره في الأوضاع داخل لبنان!!

وفلسطين نكبة العرب والمسلمين تركت في مهب الأهواء والرغبات الصهيونية التي تخطط وتنفذ بمعزل عن أي طرف عربي داخلي أو خارجي.

فرسمت جدارها الفاصل وتخلت عن إدارة غزة، وأعلن خليفة شارون -نهجًا وممارسة- إيهود أولمرت أنه سيمضي في تخطيط حدود "إسرائيل" الدائمة بمعزل عن أي طرف آخر وسيشاور فقط الولايات المتحدة في ذلك. وفقد العرب أية أوراق يلعبون بها لوقف تلك المخططات الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية وجعلها من ملفات التاريخ، فيما يتم محاصرة المقاومة وتصفية قادتها واحدًا تلو الآخر لشل قدرتها التفكيرية ووقف نموها البنيوي والتنظيمي.

ولن يقف المشهد عند ذلك الحد، فالمسلسل - فيما يبدو - طويل، تنتظر فيه الدولة تلو الأخرى، في سلسلته النهائية ـ حسب المؤامرات الحالمة ـ لا توجد جغرافية تسمى بالعالم العربي، وإنما فقط تدرس من قبيل الأحداث التاريخية كما الخلافة الإسلامية.

فإن من بين المرتكزات التي قدمها "روبرت اتلوف" أحد خبراء الولايات المتحدة في مجال الدبلوماسية العامة في كتابه "كيف تربح معركة الأفكار؟" حول ما لا يجب عمله تجاه العالمين العربي والإسلامي- نصح بعدم استخدام مصطلحي "العالم العربي" و"العالم الإسلامي"، ورأى أنه يجب محوهما من المعجم السياسي والجغرافي، لأنه من الأجدى والأنفع للسياسة الخارجية الأمريكية أن تعمل في عالم من الدول المستقلة التي لا يجمعها جامع ولا تربطها ببعضها صلة، حيث لا تقوى أي منها من مواجهة النفوذ الأمريكي، بخلاف ما عليه الحال لو كانت هناك تكتلات وتنسيقات بين هذه الدول وبعضها.

وهذا ما يفسر كثيرًا ويعطى ملمحًا لما ترمي إليه الولايات المتحدة في فصم عرى الدول واستماتتها في فصل الملف السوري عن اللبناني، وما تروج له من "فوضى خلاقة" في المنطقة العربية ستنتهي -بحسب رؤيتهم وأحلامهم- بتفجير العالم العربي على من فيه، وتنشأ وضعيات جديدة تحقق الرغبات والطموحات الأمريكية أكثر مما عليه الحال الآن.

إن التحديات التي تواجه العالم العربي والإسلامي تحديات جسام تستهدف وجوده في الأساس وليست فقط تبحث عن تغييرات شكلية في بنية الأنظمة أو في سمتها وتوجهاتها.

المؤتمرات النائمة:

وفي مقابل هذا المكر السيِّء والتدبير الماضي بجد وعزم نجد مشاهد الخذلان والانتكاس تلف تلك "المؤتمرات النائمة" التي أصبحت بذاتها إشكالية جديدة تضاف في ذيل الإشكاليات العربية المتأزمة والمزمنة.

فليس من قبيل جلد الذات ولا النظرة الدونية أن نقول: إن تلك المؤتمرات تساهم بوعي أو بدونه في تأزم الموقف العربي الموحد بدلاً من أن تكون منطلقًا لحل مشاكله، ومعوقًا له بدلاً من أن تكون دافعة له.

لقد بات الهم الأكبر في كل عام حينما يقترب موعد انعقاد القمة الدورية في شهر مارس هو البحث عمن حضر ومن تغيب، وأصبح نجاح القمة مرتهنًا بحضور العدد المشرف من الرؤساء والملوك والزعماء، وانتهائها دون مشاكل إضافية ومناوشات جانبية ومغادرات غاضبة متعجلة أملاً ما زال بعيد المنال.

إن مشاكل الأمة العربية لن تحل بكثرة متكاثرة من أمثال هذه المؤتمرات، لأن أسباب الفشل في التوصل إلى نتائج ترقى لمستوى التحديات بادية ظاهرة، فالانشغال بهموم المحافظة على "استقرار" الداخل في كل قطر والانكباب على التعاطي مع تداعياته وآثاره وإفراغ البال من هموم الوطن العربي بجملته إلا أن يكون ذا تأثير على الشأن الداخلي هو السمت الغالب والسمة المميزة الآن ومنذ حقبة من الزمن.

أضف إلى ذلك النزاعات والخلافات المتجذرة بين الزعماء وبعضهم، التي تلقي بظلالها القاتمة على مستوى الحضور ومستوى الطروحات والنقاشات، والتوترات الحادثة بين الدول التي تقف حجر عثرة في سبيل الوصول إلى أية قرارات ذات شأن تنتشل الأمة العربية من وهدتها ورقدتها الطويلة.

هذا فضلاً عن الحرص على إرضاء القوى الكبرى، وتجنب الانزلاق إلى أي قرار أو حتى دعوة قد لا توافق المزاج الأمريكي، وهو ما أشاع جوًا من الشكوك يكتنف دائمًا الحوارات والنقاشات، ويجعل من الوصول إلى قرار يرفع عن كاهل الأمة قدرًا من واقعها المر ضربًا من الخيال المفرط.

ناهيك عن فشل الجامعة نفسها في الوصول إلى صيغة متزنة يتم من خلالها اتخاذ القرارات وتفعيلها، فإن البحث يعييك إذا ذهبت تتلمس قرارًا صدر عن الجامعة ووجد له مصداقية في الواقع أو رفع عن الأمة ظلمًا أو أعاد لها حقًا مغتصبًا أو دفع عنها خطرًا مستشرفًا.

فثمة حاجة ملحة إذن إلى إعادة النظر في ميثاق الجامعة وآلية اتخاذ القرارات وتنفيذها، وتحويل القمم من "مجالس شورية" تركّز همها في الشجب والإدانة وتسجيل الاعتراضات والمواقف إلى "مجالس تنفيذية" يكون لقراراتها صدى ملموس في الواقع يحقق آمال الشعوب ورغباتها، ويكون على قدر التحديات التي تواجهها الأمة العربية.

إن المؤامرات الحالمة قد تصبح يومًا ما حقيقة مؤلمة وواقعًا مترسخًا يصعب زحزحته، بيد أن يقظة من المؤتمرات النائمة وصحوة بعد طول غفوة قد يفوِّتان على المتربصين أحلامهم ومؤامراتهم..

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

تسلية وترويح

صارت أجنبية

أراد رجل أن يطلق زوجته، فقيل له: ما يسوؤك منها؟
قال: العاقل لا يهتك سترِ زوجته.
فلما طلقها قيل له: لِمَ طلّقتها ؟
قال: ما لي و للكلام فيمن صارت أجنبية.

وجدتها عرجاء

جاء رجل إلى أحد الفقهاء وقال له: إني تزوجت امرأة وجدتها عرجاء، فهل لي أن أردها؟
فقال له: إن كنت تريد أن تسابق بها .. فردها.

الساعة الآن الخامسة

تشاجر زوجان وامتنعا عن الكلام، وقبل أن يصعد الزوج للنوم، قدّم لزوجته ورقة مكتوب عليها: ايقظيني الساعة الخامسة صباحاً، وفي اليوم التالي استيقظ الزوج، ونظر الساعة فوجدها الثامنة! فاغتاظ، ثم لبس ثيابه، ولما أراد الخروج نظر فرأى ورقة مكتوب عليها: استيقظ، الساعة الآن الخامسة.

صلام عليكم يا أبا سالح !

وعن بكر الصيرفي، سمعت أبا علي صالح بن محمد [الملقب جزرة] قال: دخلت مصر فإذا حلقة ضخمة، فقلت: من هذا؟
قالوا: صاحب نحو.
فقربت منه، فسمعته يقول: ما كان بصاد جاز بالسين.
فدخلت بين الناس، وقلت: صلام عليكم يا أبا سالح ، سليتم بعد؟
فقال لي: يارقيع! أي كلام هذا؟
قلت: هذا من قولك الآن.
قا ل: أظنك من عياري بغداد؟!
قلت: هو ماترى.

يا فتى ، متى قدمت ؟

قال ابن عبدوس الطرائفي: لما أردت الخروج إلى عثمان بن سعيد الدارمي [يعني إلى هراة] أتيت ابن خزيمة، فسألته أن يكتب لي إليه، فكتب إليه، فدخلت هراة في ربيع الأول، سنة ثمانين ومئتين، فأوصلته الكتاب، فقرأه، ورحب بي، وسأل عن ابن خزيمة ثم قال: يا فتى، متى قدمت؟ قلت: غداً، قال: يا بني، فارجع اليوم، فإنك لم تقدم بعد، حتى تقدم غداً.

إذا جاء رمضان استويا في العمر

سأل أبو نواس أحد الوراقين الذين كانوا يكتبون في حانوت أبي داود: أي أسن أنت أم أخوك قال: إذا جاء رمضان استوينا.

أكلت وما شبعت

اشترى "غندر" سمكاً فقال لأهله: أصلحوه ونام فأكل عياله السمك ولطخوا يده به فلما انتبه قال: قدموا السمك، قالوا: قد أكلت قال: صدقتم ولكني ما شبعت.

الكلب المفضل

لقي رجل رجلاً ومعه كلبان فقال: هب لي أحدهما فقال: أيهما تريد فإن الأسود أحب إلي من الأبيض قال: فهب لي الأبيض قال: الأبيض أحب إلي من كليهما.

وليس لداء الركبتين طبيب

عاد رجل مريضاً فقال له: ما علتك! قال: وجع الركبتين فقال: والله لقد قال جرير بيتاً ذهب مني صدره وبقي عجزه وهو قوله: وليس لداء الركبتين طبيب فقال المريض: لا بشرك الله بالخير ليتك ذكرت صدره ونسيت عجزه.

أضف إلى معلوماتك

معلومات عامة عن الأسنان

- عدد الأسنان اللبنية 20 سنا، وتبدأ بالبزوغ في الشهر السادس، بينما عدد الأسنان الدائمة 32 سنا، وتبدأ بالبزوغ في السنة السادسة من عمر الإنسان.
- سمي ضرس العقل بذلك لأنه يبدأ بالظهور عند سن الرشد تقريبا في الثامن عشر.
- يوجد بفم الإنسان مايقارب من 400 نوع من الأحياء الدقيقة.
- يوجد في فم الإنسان 6 غدد لعابية كبيرة وعدة غدد لعابية أخرى صغيرة، وجميع هذه الغدد تفرز اللعاب الذي يساعد على مضغ الطعام، والكلام، ومنع تسوس الأسنان وأمراض اللثة.
- ينصح معظم أطباء الأسنان باختيار الفرشاة الناعمة جدا وعدم تفريش الأسنان بالقوة حيث من الممكن أن يؤدي إلى انحسار في اللثة وتعري جذر الأسنان.
- يجب تغيير فرشاة الأسنان عند تغير شكل اليافها فقط، وليست محددة بزمن معين.
- معظم معاجين الأسنان تحتوي على عنصر الفلورايد، وهو مادة تساعد على صحة الأسنان، وباستطاعة كل إنسان اختيار مايناسبه والاستمرار عليه مدى الحياة مادام يحتوي على هذه المادة.
- زراعة الأسنان هي عبارة عن غرس وتد - بطريقة جراحية- في الفك مكون من عنصر "التاتينيوم" ويربط فوقه التاج المكون من "البورسيلين"، والسن المزروعة لا يوجد بها عصب ولاتسوس .
- الشاي الخالي من السكر والموز مفيدان لصحة الأسنان، وذلك لاحتوائهما على عنصر الفلورايد.

حكم ومواعظ

-سكران بغير شراب

قال يحيى بن معاذ: "عمل كالسراب، وقلب من التقوى خراب، وذنوب بعدد الرمل والتراب، ثم تطمع في الكواعب الأتراب! هيهات أنت سكران بغير شراب".

-رزق الخلائق

توكلت في رزقي على الله خالقي
وأيقنت أن الله لا شك رازقـــي
وما يك من رزقي فليس يفوتني
ولو كان في قاع البحار العوامـــق
سياتي به الله العظيم بفضله
ولو لم يكن مني اللسان بناطـــق
ففي أي شيء تذهب النفس حسرة
وقد قسم الرحمن رزق الخلائـــق

-مساكين

وقال بعض المحبين: مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها قالوا: وما أطيب ما فيها قال: محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه والإقبال عليه والإعراض عما سواه.

-مركب المفاليس

من مفسدات القلب: ركوبه بحر التمني، وهو بحر لا ساحل له، وهو البحر الذي يركبه مفاليس العالم، كما قيل:

إن المنى رأس أموال المفاليـــس
وبضاعة ركابه مواعيد الشيطان

-الإخلاص

من شهد في إخلاصه الإخلاص احتاج إخلاصه إلى إخلاص، فنقصان كل مخلص في إخلاصه : بقدر رؤية إخلاصه فإذا سقط عن نفسه رؤية الإخلاص صار مخلصا مخلصا.

- جواهر الرجال

كتمان الأسرار يدل على جواهر الرجال، وكما أنه لا خيرٍ في آنية لا تمسك ما فيها، فلا خير في إنسان لا يكتم سراً.

قال سفيان الثوري:
اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها.
- احذر سخط الله في ثلاث:
احذر أن تقصر فيما أمرك، واحذِر أن يراك وأنت لا ترضى بما قسم لك، وأن تطلب شيئاً من الدنيا فلا تجده، أن تسخط على ربك.
- زينوا العلم بأنفسكم، ولا تزينوا بالعلم.
- ثلاثة من الصبر: لا تحدث بمصيبتك، ولا بوجعك، ولا تزكِ نفسك.

قال سلمة ابن دينار:
ما أحببت أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم، وما كرهت أن يكون معك في الآخرة فاتركه اليوم.

قال مالك :
إن حقا على من طلب العلم أن يكون عليه، وقارا وسكينة وخشية، وأن يكون متبعاً لآثار من مضى قبله.

كلمات من الحكمة

- إذا خرجت الكلمة من القلب دخلت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لن تتجاوز الآذان.
- العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالما.
- تواضع عن رِفْعَة وازهد عن حكمة وأنصف عن قوة واعف عن قدرة.
- أدني أخلاق الشريف كتمان سِرِّهِ، وأعلى أخلاقه نسيان ما أَسِرَّ إليه.
- من وعظ أخاه سراً فقد نصحه .. ومن وعظه علانية فقد فضحه.
- المؤمن يُحْسِنُ ويبكي والمنافق يُسِيءُ ويضحك.
- يسخر من الجروح .. كل من لا يعرف الألم.
- لا مروءة لكذوب، ولا وَرَعَ لِسَيِّءِ الخلق.
- من زاد في حبه لنفسه .. زاد كره الناس له.
- اللسان ليس عظاماً .. لكنه يكسر العظام.
- المؤمن إذا جاع صبر وإذا شبع شكر.

العدد 09 - 02 ربيع الأول 1427 الموافق لـ 01 أبريل 2006

من أقوال السلف الصالح في حقيقة الدنيا

- عن قتادة: "أن شداد بن أوس خطب فقال: أيها الناس، إن الدنيا أجل حاضر، يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة أجل مستأجر، يحكم فيها ملك قادر، ألا وإن الخير كله بحذافيره في الجنة، وإن الشر كله بحذافيره في النار".

- عن أبي جعفر الباقر قال: "من دخل قلبه ما في خالص دين الله، شغله عما سواه، ما الدنيا؟ وما عسى أن تكون؟! هل هو إلا مركب ركبته وثوب لبسته، أوامرأة أصبتها".

- قال سلمة بن دينار: "الدنيا؟ ما مضى منها فلحم، وما بقي منها فأماني".

- قال ابن السماك: "الدنيا كلها قليل، والذي بقي منها قليل، والذي لك من الباقي، ولم يبق من قليلك إلا قليل، وقد أصبحت في دار العزاء، وغدا تصير إلى دار الجزاء، فاشتر نفسك لعلك تنجو".

- قال سفيان بن عيينة: "قال لي أبو بكر بن عياش: رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة".

- قال يحيى بن معاذ الرازي: "الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وهو يسألك عن جناح بعوضة".

- قال إبراهيم بن فاتك: "سمعت أبا يعقوب إسحاق بن محمد يقول: الدنيا بحر والآخرة ساحل، والمركب التقوى، والناس سفر".

- قال أحمد بن المعدل الفقيه: "كلما تذكرت أن التراب يأكل لسان عبد الملك بن الماجشون صغرت الدنيا في عيني".

- قال إبراهيم التيمي: "كم بينكم وبين القوم؟! أقبلت عليهم الدنيا فهربوا، وأدبرت عنكم، فاتبعتموها".

- عن سفيان الثوري: "من سر بالدنيا، نزع خوف الآخرة من قلبه".

- عن بشر بن الحارث قال: "ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت، ومن زهد فيها أحب لقاء مولاه".

- قال البخاري: "ما أردت أن أتكلم بكلام فيه ذكر الدنيا إلا بدأت بحمد الله والثناء عليه".

حب الدنيا

حب الدنيا رأس الخطايا والسيئات، وبغضها والزهد فيها أم الطاعات ولذلك قيل: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها، وقيل: الدنيا كماء البحر من زاد شربا منه ازداد عطشا.

قال سفيان الثوري رحمه الله: "إنما سميت الدنيا بذلك لأنها دنية، وسمي المال بذلك لأنه يميل بأهله".

ومما لا يحتاج إلى سرد واقعي تكالبنا على الدنيا، وشدة الحرص عليها فهل يخفى على أحد شأنها؟ وهل دب الوهن فينا إلا من حب الدنيا؟ وهل تكالب أعداء الإسلام علينا إلا لما شغلنا بالدنيا عن الدين؟.

نعم فتنا بالدنيا ولم نعمل للآخرة وصارت كل أمانينا وأحلامنا وتصوراتنا -إلا من رحم الله- من نسيج الدنيا، وكأنها دار خلود، وكأننا لم نخلق إلا لجمع حطامها الفاني.

التحذير من حب الدنيا

قال تعالى: "إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ" وبين سبحانه وتعالى أن العباد يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة مع أنها خير وأبقى فقال: "بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى" أي: أدوم من الدنيا كما قال القرطبي رحمه الله في تفسيره.

وقرأ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هذه الآية ثم قال: "أتدرون لما آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ لأن الدنيا حضرت وعجلت لنا طيباتها وطعامها وشرابها، ولذاتها و بهجتها، والآخرة غيِّبت عنا، فأخذنا العاجل وتركنا الآجل".

قال مالك بن دينار رحمه الله: "لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى قال: فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى؟!".

في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" قال ابن القيم في بدائع الفوائد: "الدنيا سجن المؤمن فيه تفسيران صحيحان:

أحدهما: أن المؤمن قيده إيمانه عن المحظورات والكافر مطلق التصرف.

الثاني: أن ذلك باعتبار العواقب، فالمؤمن لو كان أنعم الناس، فذلك بالإضافة إلى مآله في الجنة كالسجن. والكافر عكسه فإنه لو كان أشد الناس بؤسا، فذلك بالنسبة إلى النار جنة".

وفي البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل".

قال الطيبي رحمه الله: "ليست أو للتشكيك بل للتخيير.. والأحسن أن تكون بمعنى بل" انظر الفتح.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "وهذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، فإن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنا ومسكنا فيطمئن فيها ولن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر".



قال علي للحسين رضي الله عنهما: "كن في الدنيا ببدنك وفي الآخرة بقلبك".

وقال ابن عجلان رحمه الله: "إن الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المنقطعين إليه".

حقيقة الزهد في الدنيا

قال ابن القيم رحمه الله : "لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها -أي: ستة أشياء- وهي المال والصور والرياسة والناس والنفس وكل ما دون الله، وليس المراد رفضها من الملك فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما وكان نبينا من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة، وكان علي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان رضي الله عنهم من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وكان الحسن بن علي رضي الله عنه من الزهاد مع أنه كان من أكثر الأمة محبة للنساء ونكاحا لهن وأغناهم، وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد مع مال كثير، وكذلك الليث بن سعد من أئمة الزهاد وكان له رأس مال يقول: لولا هو لتمندل بنا هؤلاء.

ومن أحسن ما قيل في الزهد كلام الحسن أو غيره: ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو لم تصبك، فهذا من أجمع الكلام في الزهد وأحسنه" المدارج.

ومن ثم فحقيقة الزهد في الدنيا عدم استقرارها في قلب العبد ولذا كان أفضل الزهد اخفاء الزهد كما قال ابن القيم في الفوائد.

وقد قال العلماء قديما: "أهل الورع يخفون ورعهم كأنه عورة".

حال النبي عليه الصلاة والسلام مع الزهد في الدنيا.

عند مسلم عن عمر رضي الله عنه قال: "لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه". الدقل: رديء التمر.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني"، قولها شطر شعير أي: شيء من شعير كذا فسره الترمذي رحمه الله.

حال السلف الصالح مع الزهد في الدنيا

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "أنتم أكثر صياما وأكثر صلاة وأكثر اجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم، قالوا: لما يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة".

ومن أمثلة ذلك ما ورد في الصحيحين عن خباب بن الأرث رضي الله عنه قال: "هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله تعالى فوقع أجرنا على الله، فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئا، منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه، قتِل يوم أحد وترك نمرة (كساء ملون من صوف) فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا بها رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغطي رأسه ونجعل على رجليه شيئا من الإذخر (نبت معروف طيب الرائحة..)".

قال بعضهم:

النفس تبكي على الدنيا قد علمت
أن السعادة فيها ترك ما فيهـا
لا دار للمرء بعد الموت يسكنهـا
إلا التي كان قبل المـوت يبنيهـا
فإن بناها بخير طاب مسكنـه
وإن بناها بشر خـاب بانـيهـا